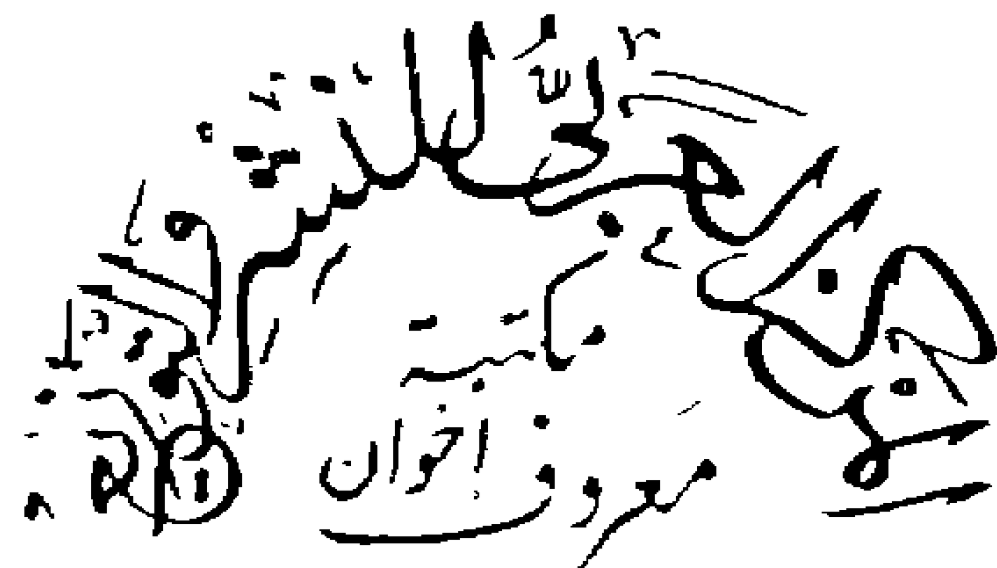
أجاثا كريستي ١٢



اجاثا كريستي

المتهمة البريئة

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال



اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

غلاف وإشراف فنى
إيهاب التركى

إخراج فنى
منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
٤١١ الرياض

الأستاذ / عاطف جلال
الإسكندرية

رفيقة الرحلة

يتناقل الناس تلك النكتة التى تدور حول كاتب شاب أراد أن ينتزع اعجاب أحد أصحاب دور النشر فبدأ روايته بهذه العبارة :

" وقالت الدوقة : - يا للشيطان ! "

ومن العجيب أن القصة التى أسوقها اليكم الآن تبدأ بنفس الطريقة فيما عدا أن التى نطقت بها لم تكن دوقة .

كان ذلك فى أحد أيام يونيه ، وكنت قد قضيت بضعة أيام فى باريس حيث فرغت من عمل لى ، وكنت جالسا فى قطار الصباح فى طريقى الى لندن .. الى المسكن الذى أشارك فيه صديقى الحميم هركيول بوارو المخبر السرى البلجيكى السابق .

وكان اكسبريس كاليه خاليا من الركاب تقريبا ، ولم يكن فى المقصورة التى أجلس بها غير شخص واحد .. وكنت قد غادرت الفندق على عجل ، وعندما انطلق القطار كان اهتمامى محصورا فى التأكد من اننى لم أنس شيئا من متاعى ، ولم أكن قد اهتممت حتى هذه اللحظة بالراكبة التى تجلس معى فى المقصورة ، ولكننى لم ألبث أن حولت اهتمامى اليها ، فقد نهضت من مكانها دفعة واحدة ، وفتحت زجاج النافذة ، وأطلت برأسها ثم ردتها بعد لحظة .. وهى تصرخ قائلة : - ياللشيطان .. !

وأنا رجل محافظ ، ومن رأيى أن المرأة يجب أن تكون انثوية ، ولا تروق لى فتاة الجيل التى ترقص الجاز من الصباح الى المساء ، والتى تدخن كما لو كانت رجلا ، وتنطق بعبارات بذيئة تخجل منها نساء أسواق الخضار فى فرنسا .

رفعت رأسى متجهما ، فرأيت وجها جميلا تعلوه قبعة حمراء ، تتهدل من تحتها

خصلات سوداء . وكان يبدو أن عمر الفتاة لا يزيد عن سبعة عشر عاما ، على الرغم من أن وجهها كانت تعلوه الأصباغ ، كما كانت شفتاها حمراوين جدا .

وقابلت نظرتي بكل جرأة وثبات ، وقالت كما لو كانت تخاطب أشخاصا غير منظورين :

- يا الهي ! .. أننا صدمنا شعور هذا السيد الكريم .. أقدم لك كل المعاذير لأسلوبي .. وأعترف انه أسلوب غير مهذب ، ولكن ماذا تريد ؟ .. ان لي أسبابي الخاصة .. أفلا تعرف انني فقدت أختي الوحيدة ؟

قلت في لهجة مهذبة :

- حقا ؟ هذا أمر يدعو الى الأسف .

قالت الفتاة : - أنه يلومني .. يلومني أنا وأختي .. وهذا في حد ذاته ظلم كبير ، لأنه لم يرها .

وفتحت فمي لكي أرد ، ولكنها سبقتني قائلة : - لا تنطق بأي شيء .. ان أحدا لا يحبني ، وقد استحققت هذا .. اوه .

وأخفت وجهها خلف جريدة هزلية فرنسية .. وبعد لحظة فاجأتها وهي تنظر الى خلسة من فوق الصحيفة ، ولم يسعني عندئذ الا أن ابتسم ، وما كادت ترى ذلك حتى طوحت بالجريدة وهي تضحك ثم صاحت تقول :

- مرحى ! كنت أعرف انك لست من السماجة كما تبدو .

وسرت ضحكتها الى ، بحيث لم أستطع أن احتفظ باتزاني ، وان كانت كلمة "سماجة" . لم ترق لي .. ولم استظرف الفتاة طبعا ، ولكن لم يكن ذلك سببا لكي اتخذ موقفا متزمتا ، فابتسمت من جديد .. ومهما يكن فقد كانت جميلة حقا ، وصاحت تقول :

- الآن وقد أصبحنا صديقين قل انك آسف لأنني لا أجد أختي .

انني آسف لذلك

- هذا جميل .

- ولكنني لم أفرغ بعد .. انني آسف لذلك ولكنني لا أفتقدها .

وأومأت برأسي ايماءة صغيرة ، ولكنها قطبت حاجبيها وهزت رأسها قائلة :

- أوه ، لا تقل هذا .. انني أفضل أن أراك متزمتا .. أوه .. كانت ملامح وجهك تقول " هذه الفتاة ليست من طبقتي ، وانك لعلى صواب ، على الرغم من أنه يتعذر في أيامنا هذه التمييز بين غانية ودوقة .. ها قد صدمت شعورك من جديد ، أليس كذلك ؟ . لا ريب انك قادم من الغابة .. ان هذا لا يزعجني على كل حال ، وأنه لمما يؤسف له أننا لم نعد نجد أشخاصا على شاكلتك . انني أكره أن أرى شخصا يغدو الينا على الفور فان هذا يثير حنقي .

وهزت رأسها في قوة فابتسمت وقلت : - كيف تكونين عندما تغضبين ؟

- اوه .. أكون شيطانة حقيقية .. لا يهمني ما أقول أو ما أفعل عندئذ .. وقد كدت أن أقتل رجلا ذات يوم ، وكان يستحق القتل حقا . وقد يكون مرجع ذلك الى دمي الايطالي . ذلك سيسبب لي المشاكل ذات يوم .

قلت : - حسنا لا تغضبي مني اذن .

- اتفقنا .. انك تروق لي .. ما أن رأيتك حتى أحسست بأنني أميل اليك . ولكنك كنت متزمتا بحيث خيل لي أننا لا يمكن أن نتفاهم .

- حسنا .. هيا قد تفاهمنا .. حدثيني الآن عن نفسك

- انني ممثلة .. أوه .. لست من هؤلاء الممثلات اللاتي يتناولن الغداء في السافوى تغطيهن المجوهرات واللآلئ وتظهر صورهن في الصحف للدعاية عن منتجات الجمال .. كلا .. انني أظهر على خشبة المسرح منذ كنت في السادسة من عمري .. بهلوانة .

- آه .. انني أفهم .

- انني أمريكية المولد .. ولكنني قضيت حياتي كلها تقريبا في انجلترا .. ونحن لا نقوم الا بنمرة ..

- نحن ؟

- أنا وأختي .. اننا نغني ونرقص ونلقي بعض المنلوجات ونقوم ببعض الألعاب البهلوانية .

وراحت صديقتي الجديدة تتكلم في ذلاقة ، مستخدمة اصطلاحات كثيرة لم أفهمها.. ومع ذلك رأيت نفسي أصغي اليها في اهتمام .. كانت تبدو مزيجا عجيبا من المرأة والطفلة .. وعلى الرغم من أنها كانت جديرة تماما بأن تدبر أمورها وحدها كما تقول ، فقد كان هناك شئ عجيب في الصراحة التي تواجه بها الحياة ، وفي عزمها على النجاح ، وكانت نظرتها الى الحياة بهذه الطريقة لا تخلو من فتنة ، وسرني أن أرى وجهها الصغير يتألق وهي تتكلم .

واجتاز القطار مدينة أميينز في ذلك الوقت .. وآثار اسم المدينة في نفسي الف ذكرى ، ويبدو أن زميلتي خمنت ما يدور في ذهني لأنها قالت :

- هل تفكر في الحرب ؟

واذ هززت رأسي عادت تقول : - هل اشتركت فيها ؟

- تقريبا .. انني جرحت مرة ، وسرحوني نهائيا بعد معركة السوم ، وقد شغلت وظيفة في الجيش لفترة وجيزة ، ولكنني أعمل الآن سكرتيرا لأحد النواب .

- أوه ، هذا جميل !

- أبدا .. فان عملي قليل لا يستغرق أكثر من ساعتين يوميا .. وهو الى ذلك عمل روتيني ، ولا أدري ماذا كنت أفعل لو لم يكن لي عمل آخر يستأثر بكل اهتمامي .

- لا تقل لى انك من هواة جمع التحف !

- كلا .. ولكننى أشترك فى السكنى مع رجل ذى شأن كبير .. رجل بلجيكى ، مخبر سرى سابق ، وقد استقام فى لندن كمخبر خاص . ويلاقى نجاحا كبيرا . انه رجل عجيب حقا أفلح مرات كثيرة حيث أخفق البوليس الرسمى .

وكانت زميلتى تصغى الى بعينين متسعتين فقالت : - هذا مثير .. اننى أعبد الجرائم .. اننى أذهب لمشاهدة جميع الأفلام الغامضة .. وعندما تقع جريمة مثيرة التهم الصحف .

سألتها : - هل تتذكرين قضية قصر ستايلز ؟

- دعنى أتذكر .. الا تدور حول امرأة عجوز لقيت مصرعها بالسم ؟ .. فى مكان ما به مقاطعة اسكس ؟

أومأت برأسى وقلت : - كانت هذه أول قضية لبوارو ، وأظن انه لولاه لأفلت القاتل من العقاب .

وأخذنى الحماس فسردت عليها مراحل القضية حتى النهاية التى لم يكن يتوقعها أحد .. وأصغت الفتاة الى مفتونة ، والواقع أن الحديث استغرقنا بحيث توقف القطار فى مدينة كالية قبل أن نلحظ ذلك .. وصاحت الفتاة :

- يا الهى ! أين بدارتى ؟

وراحت تنثر المسحوق على وجهها فى سخاء ، ثم صبغت شفتيها بالأحمر من جديد، دون أن تبدى أى ارتباك .. وقلت أسألها :

- لعل هذا فضول منى ، ولكن قولى لى لماذا تفعلين ذلك ؟

نظرت الفتاة الى فى دهشة حقيقية فقلت : - انك جميلة حقا ، ولا حاجة بك الى هذه المساحيق .

- ولكن يا صديقى العزيز .. هل تظن اننى أريد أن أبدو كما لو كنت قروية !

وألقت نظرة أخيرة الى المرآة ، ثم أعادتها الى حقيبتها هى وعلبة البودرة وقالت .

- هذا أفضل . وأعترف أنه من المرهق المحافظة على المظاهر . ولكن الفتاة التى تحترم نفسها لا يجب أن تهمل امرها

وهبطنا الى الرصيف . ومدت لى يدها قائلة :

- الوداع .. سأحاول أن أهذب أسلوبى فى المستقبل .

- ولكن الا تسمحين لى بمساعدتك فى النزول الى المركب ؟

- يجب أن أرى أولا أن كانت أختى قد ركبت القطار .. واشكرك على كل حال

- أرجو أن نلتقى ثانية . (وترددت) .. أود أن أتعرف بأختك .

وضحكنا معا وقالت . - هذه مكرمة منك .. سأخبرها بذلك . ولكن لا أظن اننا سنلتقى ثانية .. انك كنت كريما معى طوال الرحلة ، وتعبيرات وجهك فى البداية كان لها ما يبررها .. اننى لست من طبقتك . وأعرف تماما أن هذا الفارق قد يخلق بعض المشاكل .

وتغيرت ملامحها ، وتلاشى مرحها ، وحل محله غضب شديد ، ولكنها قالت فى رقة : - مرة أخرى وداعا

صحت بها وهى تتحول عنى : - الا تريدين ان تذكرى لى اسمك على الأقل ؟

ألقت الى نظرة من فوق كتفها ، وظهرت فى كل من وجنتيها غمازة رقيقة ، وبدت كلوحة من تلك اللوحات التى تفنن جروز فى رسمها ، وقالت وهى تبتسم .

- اسمى سندريللا .

ولكننى لم أكن أدرى متى سأراها ثانية ، ولا أين .

***

النجدة

كانت الساعة قد بلغت التاسعة وخمس دقائق من صباح اليوم التالى عندما دخلت الغرفة المشتركة التى نتناول فيها الطعام أنا وبوارو .. وكان صديقى دقيقا فى مواعيده كعادته ، وكان جالسا أمام المائدة يهم بكسر بيضته الثانية واذ رآنى قال وهو يبتسم :

- هل نعمت بالنوم ؟ وهل استرحت من السفر ؟ هذا رائع . انك لم تتأخر تقريبا ، ولكن ربطة عنقك مقلوبة ، فدعنى اصلحها لك .

وقد سبق لى أن وصفت هركيول بوارو قبل ذلك . رجل قصير ، طوله نحو متر وستين سنتيمترا ، له رأس بيضاوية ، وعينان خضراوان ، وشارب أشبه بشوارب الجنود ، وهو ذو وقار كبير ، يعبد النظام والترتيب ، بحيث يعذبه أن يرى شيئا فى غير موضعه أو ذرة من الغبار . لا يؤمن بالأدلة الملموسة ، كأثار الأقدام ورماد السجاير . ويقول انه لا يمكن أن تساعد المخبر وحدها فى الكشف عن أية قضية ، ثم يضرب رأسه ويقول :

" ان العمل الحقيقى يدور هنا .. الخلايا الخضراء يا صديقى .. لا تنس الخلايا الخضراء " .

وجلست مكانى وأنا أقول : - ألم يأت البريد بشئ جديد ؟

هز رأسه فى شئ من الارتياح وأجاب : - اننى لم أفض رسائل اليوم بعد .. ولكن لا يأتينى شئ هام هذه الأيام .. ان المجرمين .. أعنى المجرمين المنظمين لم يعد لهم وجود ، وأن القضايا التى اهتمت بها أخيرا قضايا عادية .. والواقع أن علمى أصبح

يقتصر على البحث عن الكلاب البكينى المفقودة .. وآخر قضية كانت على شئ من الأهمية ، هى قضية ماسة باردلى وكانت قضية صغيرة معقدة ، وقد مر عليها وقت طويل .

وهز رأسه فى بطء فضحكت وأنا أرى سحنته المقلوبة وقلت :

- تشجع يا بوارو .. سوف تدور عجلة الحظ وتأتيك بقضية كبيرة ..

وراح يفض رسائله ويقول : - فاتورة .. وفاتورة ثانية .. آه .. هذه رسالة من المفتش جاب .

- حسنا ؟

وأرهفت السمع ، لأن مفتش اسكوتلانديارد جاءنا أكثر من مرة بقضية معقدة .

- انه يشكرنى على طريقته لمعلومة صغيرة قدمتها له فى قضية أبرستويت اذ ساعدته فى الكشف عنها .. يسرنى اننى استطعت أن أقدم له خدمة .. وهى رسالة من الكونتس نورفانوك ترجونى فيها أن أذهب لزيارتها .. لا ريب أنها تريد أن تكلفنى هى الأخرى بالبحث عن كلبها .. وهذه هى الرسالة الأخيرة .. آه !

ورفعت عينى فاذا ببوارو يقرأ الرسالة التى فى يده فى اهتمام كبير .. وبعد لحظة ألقى الى بالرسالة وهو يقول :

- هذه الرسالة أمرها عجيب حقا .. أقرأها أنت بنفسك .

وكانت الرسالة مكتوبة على نوع من الورق لا يوجد الا فى الخارج ، وبخط واضح يدل على جرأة وطابع صاحبه .. وهذا نصها :

فيللا جنفييف .

مرلنفيل ، فرنسا .

" سيدى .. اننى بحاجة الى مخبر خاص ، ولا أريد أن الجأ الى البوليس الرسمى لأسباب سوف أذكرها لك فيما بعد .. وقد سمعت كثيرين يتحدثون عنك ، وقد

امتدحوا جميعا ذكاءك وكتمانك للسر .. ولا أريد أن أذكر لك التفاصيل بالبريد . ولكنني أعيش في ذعر دائم من الموت بسبب سر اكتشفته فجأة .

وأنا واثق أن الخطر عاجل وأرجو أن تبحر الى فرنسا على الفور .. وسأرسل سيارة الى كاليه في انتظارك ، اذا أبرقت لى عن الساعة التى تنوى الحضور فيها ، وأكون ممتنا جدا اذا تخليت عن كل ما يشغلك الآن ، واهتممت بمصالحى فحسب .. وأنا على استعداد لكى أدفع لك التعويض المناسب .. وقد احتاج اليك مدة طويلة ، وربما يكون من الضرورى أن تنتقل الى سنتياجو ، حيث قضيت سنوات طويلة من حياتى ، ويمكنك أنت أن تحدد قيمة اتعابك .

وأؤكد لك مرة أخرى أن القضية عاجلة جدا .. وتفضل بقبول فائق احترامى .

ب . رينو .

وتحت التوقيع بضع كلمات كتبت على عجل ، بحيث تعذر على قراءتها لأول وهلة " استحلفك بالله أن تعجل بالمجئ " .

أعدت اليه الخطاب ، وقد ازدادت نبضات قلبى وقلت هذا شئ جدير يخرج عن المألوف .. هل تذهب ؟

أومأ بوارو برأسه فى تفكير ، وألقى نظرة الى ساعة المكتب ثم قال : - لا يجب أن نضيع الوقت يا صديقى ..ان القطار السريع يغادر محطة فكتوريا فى الساعة الحادية عشرة .. لا تتعجل .. ان لدينا كل الوقت الكافى ، ونستطيع أن نقضى عشر دقائق فى مناقشة القضية .. سترافقنى طبعا ، أليس كذلك ؟

- ولكن ..

- انك قلت لى أن مخدومك لن يحتاج اليك طوال الأسابيع القليلة المقبلة .

- أوه ، هذا صحيح .. ولكن المدعو رينو يقول أن الأمر خاص .

- لا عليك .. اننى اتكفل بمستر رينو . وبهذه المناسبة يبدو لى اننى أعرف هذا

الاسم .

- هناك رجل أمريكى من جنوب أمريكا يدعى رينو ، واننى اتساءل اذا لم يكن هو .

- ولكن ليس فى هذا أى شك .. بل ان فيه تفسيرا لعبارة سنتياجو ، فان هذه المدينة تقع فى شيلى ، وشيلى فى جنوب أمريكا .. آه .. اننا نتقدم .

صحت : - يا الهى يا بوارو .. ان فى هذه القضية مالا وفيرا ، واذا أفلحنا فسوف نصيب منه الكثير .

- لا يجب أن تكون شديد الثقة فى ذلك يا صديقى ، فان الرجل الثرى لا يفترق عن ماله بسهولة .. واننى رأيت مليونيرا يأمر الركاب بمغادرة عربة ترام ، لكى يبحث عن بنس وقع منه فيها .. ومهما يكن فلا تهمنى الناحية المالية فى هذه القضية .. ولكننى أرى فيها عنصرا غريبا .. هل لاحظت الحاشية .. ما رأيك فيها ؟

فكرت لحظة ثم قلت : - من الواضح أنه كتب الرسالة وهو يتمالك نفسه ، الا أن الاضطراب لم يلبث أن تملكه عندما فرغ منها ، فسطر هذه الكلمات الأربع اليائسة على عجل .

هز صديقى رأسه فى قوة وقال : - انك مخطئ .. ألا ترى ان الرسالة مكتوبة بحبر أسود ، فى حين أن الحاشية مكتوبة بحبر باهت .

- قلت محيرا : - حسنا ؟

- يا الهى ! .. استخدم مخك يا صديقى .. أليس من الواضح أن مستر رينو هو الذى كتب الرسالة ..انه قرأها قبل أن يجففها ، ثم أضاف هذه الكلمات الأربع عامدا ، وجفف الرسالة كلها بعد ذلك .

- ولكن لماذا ؟

- لكى تحدث فى نفسى الأثر الذى أحدثته فى نفسك أنت .

- كيف ؟

- أعنى لكى يتأكد من أننى سأذهب اليه .. أنه قرأ الرسالة بعد أن فرغ من كتابتها ، ولكنه لم يشعر بالارتياح ، فهى رسالة غير حازمة .

وأمسك لحظة ، وراح يفكر ، وقد ومضت عيناه بذلك البريق الأخضر الذى يشير الى ما يحس به من اضطراب شديد ثم قال :

- ان هذه الملاحظة كتبت بكل ثبات وهذا يدل على انه بحاجة قصوى الينا ، ولا بد لنا من اللحاق به بأسرع ما يمكن .

تمتمت فى هدوء : - مر لنفيل ! .. يخيل لى أننى سمعت بهذا الاسم .

هز بوارو رأسه وقال : - هى مكان صغير هادئ جميل يقع فى منتصف الطريق بين بولونى وكاليه ، وهى فى سبيل أن تصبح مصيفا عالميا يؤمها انجليز أثرياء ينشدون الهدوء .. ولا ريب أن لمسيو رينو بيتا فى انجلترا .

- نعم .. له بيت فى لندن ، وقصر كبير فى الريف فى هرتفورد شاير .. ولكننى لا أعرف عنه الكثير لأنه يعيش فى شبه عزلة . وأظن أن له مصالح كبيرة فى أمريكا الجنوبية ، وانه قضى الجزء الأكبر من حياته فى شيلى وفى الأرجنتين .

- حسنا .. سوف يزودنا هو بكل التفاصيل ..فلنحزم حقائبنا ، ثم نسرع بعد ذلك الى محطة فكتوريا .

قلت وأنا ابتسم : - والكونتيسة ؟

- أوه ، لا يهمنى أمرها .. لا ريب أن قضيتها غير مثيرة .. وكيف تأكدت من ذلك ؟

- لو أن الأمر مهم لجاءتنى هى بنفسها ، ولما كتبت الى .. أن المرأة لا تستطيع الانتظار . وتذكر ذلك دائما يا هاستنجز .

وفى الساعة الحادية عشرة غادرنا محطة فكتوريا فى طريقنا الى دوفر .. وكان

بوارو قد أرسل برقية الى مسيو رينو بكاليه يخطره فيها بقدومنا .

بلغنا دوفر ، وركبنا المركب الى كالية ، وكان الوقت جميلا فلم نشعر بأى تعب ولكننا لم نجد ايه سيارة فى انتظارنا كما كنا نتوقع وعزا بوارو ذلك الى أن البرقية ربما قد تأخر وصولها وقال :

- ما دام مستر رينو قد أعطانا حرية التصرف ، ففى مقدورنا أن نستأجر سيارة .

وبعد بضع لحظات كنا ننطلق فى طريقنا الى مرلنفيل فى سيارة قديمة ، وكنت فى حالة ذهنية لا بأس بها فصحت أقول :

- ان الجو رائع ، وستكون هذه الرحلة القصيرة جميلة .

- قد تكون جميلة بالنسبة لك ، ولكن لا تنس أن العمل ينتظرنا فى نهايتها ..

صحت فى مرح : - ولو ! .. انك ستكتشف كل شئ .. ستعيد الهدوء والأمان لمستر رينو .. ستكشف القاتل الفرضى ، وسينتهى كل شئ على أكمل وجه .

- انك متفائل جدا يا صديقى .

- نعم .. اننى متأكد من نجاحك .. ألست أنت هركيول بوارو العظيم .

ولكن صديقى لم يغتبط بهذه المجاملة . ونظر الى فى شئ من الجد وقال :

- انك متفائل أكثر من اللازم يا عزيزى هاستنجز ، وهذا نذير شؤم ..

- هراء .. كل ما هناك انك لا تشاركنى احساسى .

- كلا .. ولكننى خائف .

- ومن أى شئ ؟

- لا أدرى .. ولكننى أشعر بهاجس غريب .. أحس بأن هذه القضية ستكون على جانب كبير من الأهمية ، واننا سنواجه مسألة عويصة لن يكون من السهل الاهتداء الى غوامضها .

وكنت أود أن أسأله المزيد ، ولكننا كنا قد دخلنا فى هذه اللحظة مدينة مرلنفيل ،

وهى مدينة صغيرة ،فأبطأ السائق لكى يستفسر عن الطريق الى فيللا جنفييف ..

- على طول الطريق اليها .. انها تقع على بعد نحو نصف كيلو متر خارج المدينة وهى فيللا كبيرة تشرف على البحر .

وشكرنا الرجل ، واجتزنا المدينة وخلفناها وراءنا . وتوقفنا من جديد عند مفترق طرق .. رأينا فلاحا مقبلا نحونا ، فانتظرناه لكى نسأل عن الطريق وكانت هناك فيللا صغيرة على حافة الطريق ، ولكنها كانت صغيرة جدا وقديمة جدا ، ولم يكن معقولا أن تكون هى الفيللا التى نبحث عنها . وفيما نحن ننتظر فتح الباب الحديدى خرجت منه فتاة .

وفى نفس هذه اللحظة كان الفلاح قد اقترب منا ، فسأله السائق عن الطريق الذى يجب أن نتبعه فقال :

- فيللا جنفييف ؟ .. من هذا الطريق ، بعد بضع خطوات الى اليمين أيها السيد وشكره السائق وانطلق .

وكنت قد افتتنت بالفتاة التى وقفت بباب الفيللا تحدق فينا .. كانت جميلة ، ولم يكن فى مقدور أى أحد أن يمر بها دون أن يلحظها .

كانت طويلة القامة ممشوقة القد ، ذات شعر ذهبى بدت لى من أجمل النساء اللاتى وقعت عليها عيناى . وبينما نحن ننحرف فى الطريق المحفور حولت رأسى لكى أراها مرة أخيرة .. وصحت :

- بوارو .. هل رأيت هذه الالهة الصغيرة ؟

رفع بوارو حاجبيه وقال : - أتبدأ من جديد ؟ أيمكن أن ترى الهه ونحن نسير بمثل هذه السرعة .. ؟

- ولكن ألم تكن تلك الفتاة جميلة بالله ؟

- ربما اننى لم ألحظها .

- بل لابد انك رأيتها .

- أى صديقى . من النادر أن يرى شخصان نفس الشئ فأنت قد رأيت الهة ، أما أنا فلم أر غير فتاة ذات عينين قلقتين .

وتوقفت السيارة أمام باب حديدى كبير فى هذه اللحظة ، وصحت أنا وبوارو متعجبين فى نفس الوقت ، فقد وقف بالباب شرطى ضخم قطع علينا الطريق قائلا :

- ممنوع الدخول أيها السادة .

صحت : - ولكننا جئنا لزيارة مسيو رينو .. ان لدينا موعدا معه .

قال الشرطى : - ان مسيو رينو قتل صباح اليوم .

***

فيللا جنفييف

وثب بوارو من السيارة متألق العينين وأمسك الشرطى من كتفه وقال :
- ماذا تقول ؟ .. قتل ؟ .. أين ؟ وكيف ؟
اعتدل الشرطى وقال : - لا أستطيع الرد على أى سؤال يا سيدى .
- هذا صحيح .. اننى أفهم .
وفكر بوارو لحظة ثم قال : - لاريب أن قوميسير البوليس موجود بالداخل .
- نعم يا سيدى .
اخذ بوارو بطاقة من جيبه كتب عليها بضع كلمات ثم قال : - أرجو أن تتكرم وتعطيه هذه البطاقة اذن .
اخذ الشرطى البطاقة ، ثم أدار رأسه وأطلق صفيرا وبعد لحظات أقبل زميل له ، وأخذ رسالة بوارو ... وانتظرنا بضع دقائق رأينا بعدها رجلا بدينا له شارب ضخم يتقدم نحو الباب وهو بادى االانهماك وصاح :
- أى صديقى العزيز بوارو .. يسرنى أن آراك .. انك آتيت فى الوقت المناسب .
تألق وجه بوارو وقال : - مسيو بكس .. أنا سعيد حقا برؤيتك .
ثم استدار نحوى وقال : - صديقى الكابتن هاستنجز .. مسيو لوسيان بكس .
وبعد أن شد كل منا على يد الآخر ، تحول بكس الى بوارو من جديد وقال :
- اننى لم أرك منذ قضية أوستند ، وقد علمت انك تركت خدمة البوليس .
- هذا صحيح .. وقد اتخذت مكتبا خاصا للأبحاث البوليسية فى لندن .
- وهل تظن ان فى استطاعتك ان تزودنا ببعض المعلومات المفيدة ؟

- بل لعلك تعرف هذه المعلومات .. هل تعلم . انني استدعيت الى الفيللا ؟

- كلا .. ومن الذى استدعاك ؟

- مسيو م . رينو .. يبدو أنه كان يخشى على حياته ، ولكنه استدعانى بعد فوات الأوان للأسف .

صاح القوميسير : - هذا عجيب .. كان يتوقع ما حدث له اذن .. ان هذا يقلب نظرياتنا تماما .. ولكن تفضل .

وفتح الباب وتقدمنا نحو البيت وهو يقول : - يجب أن نطلع مسيو هوتيه قاضى التحقيق على هذه الحقائق دون تأخير ..أنه فحص مسرح الجريمة ، وسيبدأ استجوابه .. أنه رجل ظريف وسيروق لك .

سأله بوارو : - متى ارتكبت الجريمة ؟

- اكتشفت الجثة فى نحو التاسعة من صباح اليوم ، وطبقا لأقوال مسز رينو وشهادة الطبيب فان الموت وقع فى نحو الساعة الثانية صباحا . ادخل .

وكنا قد وصلنا الى الدرجات الأمامية لمدخل الفيللا .. وكان هناك شرطى آخر يجلس فى الردهة ، فنهض واقفا عندما رأى القوميسير .. وقال هذا الأخير :

- أين مسيو هوتيه ؟

- فى غرفة الاستقبال يا سيدى .

فتح مسيو بكس بابا فى الردهة ، على اليسار ودخلنا ، كان مسيو هوتيه جالسا.. وهو وكاتبه أمام منضدة كبيرة مستديرة .. ورفع كل منهما رأسه عند دخولنا ، وقام القوميسير بواجب التعارف ، وذكر له سبب قدومنا .

ومسيو هوتيه رجل طويل القامة ، نحيل الجسم له عينان داكنتان ثاقبتان ، ولحية قصيرة وخطها المشيب ، كان من عادته أن يداعبها بأطراف أصابعه وهو يتكلم ، وكان يقف بجوار المدفأة رجل آخر فى منتصف العمر ، قيل لنا أنه الدكتور دوران .

وقال مسيو هوتيه عندما سكت القوميسير : - هذا عجيب .. أمعك هذه الرسالة يا سيدى .

ناوله بوارو اياها فقرأها ثم قال : - آه .. انه يتكلم عن سر مما يؤسف له انه لم يزد الأمر ايضاحا ، ونحن ممتنون جدا لك يا مستر بوارو . هل تتكرم وتساعدنا فى أبحاثنا ؟ .. أو تراك مضطرا للعودة الى لندن .

- ان فى نيتى البقاء هنا يا سيدى القاضى ، اننى لم آت فى الوقت المناسب للحيلولة دون موت عميلى ، ولكننى اعتبر نفسى مرتبطا لاكتشاف قاتله .

ابتسم القاضى وقال : - هذه مشاعر تشرفك يا سيدى .. ثم اننى اعتقد أن مسز رينو قد تعهد اليك بذلك .. اننا ننتظر قدوم مسيو جيرو ، وهو من ادارة الأمن بباريس وسوف يأتى ما بين لحظة وأخرى .. وأنا واثق انكما سوف تتعاونان معا ، وفى انتظار ذلك أرجو أن تحضر استجوابى ، ولا داعى لأن أقول لك أن فى مقدورك أن تطلب ما تشاء من مساعدة .

- شكرا يا سيدى .. اننى حتى الآن لا أعرف شيئا على الاطلاق .

أومأ مسيو هوتيه برأسه للقوميسير ، فقال هذا الأخير : - عندما هبطت فرانسواز ، الخادمة العجوز صباح اليوم لتبدأ عملها ، رأت الباب العمومى مواربا ، وخشيت أن تكون قد وقعت سرقة ، فألقت نظرة على غرفة الطعام ، ولما رأت أن الفضيات لم تمس ، اعتقدت ان السيد خرج فى وقت مبكر للنزهة .

- أرجو أن تعذرنى لمقاطعتى اياك يا سيدى ، ولكن هل كان من عادة مسيو رينو أن يتنزه فى وقت مبكر من الصباح ؟

- كلا .. ولكن فرانسواز تعتقد أن الانجليز مجانين ، وانهم يقدمون على أعجب الأمور ، ولكن عندما ذهبت ليونى ، الخادمة الشابة لكى توقظ سيدتها فى الوقت المعتاد ، دهشت عندما وجدتها مقيدة ومكممة . وجاء الخبر فى نفس الوقت بأنهم

عثروا على جثة مستر رينو ، وكان قد مات متأثرا من جراء طعنات سكين فى ظهره .

- أين هذا ؟

- هذه هى أعجب نقطة فى الأمر ، فقد كانت الجثة ممددة ووجهها الى الأرض فى مقبرة مفتوحة .

- كيف هذا ؟

- نعم .. فى حفرة حفرها صاحبها على عجل على بعد بضعة أمتار من حديقة الفيللا .

- هل وقع الموت منذ وقت طويل ؟

أجاب الدكتور دوران على هذا السؤال فقال : - اننى فحصت الجثة فى الساعة العاشرة من صباح اليوم .. ان الموت وقع منذ سبع ساعات ، وربما منذ عشر ساعات قبل ذلك .

- معنى هذا أن الموت وقع فيما بين منتصف الليل والساعة الثالثة صباحا .

- تماما ..وشهادة مسز رينو تدل على أن الوفاة وقعت بين الثانية صباحا ، وتضيق حقل النظريات . وقد كان الموت سريعا ، ويجب أن نستبعد فكرة الانتحار طبعا .

أومأ بوارو برأسه فى حين استطرد القوميسير يقول : - وذعر الخدم ، وفكوا قيود مسز رينو .. وكانت المسكينة فى حالة كبيرة من الضعف ، وكانت قد فقدت الوعى تقريبا من تأثير الألم الذى سببته لها القيود .. ويبدو أن رجلين مقنعين دخلا غرفة نومها ، وقيداها وكمما فمها ، واختطفا زوجها بالقوة .

وقد علمنا هذه النقاط من الخدم .. وعندما سمعت بمقتل زوجها استولى عليها اضطراب شديد ، وما أن أقبل الدكتور دوران حتى أعطاها مهدئا ، ولم نتمكن من استجوابها بعد .. ولكن لاريب انها ستكون أكثر هدوءا عندما تصحو ، وتستطيع أن تتحمل محنة الاستجواب عندئذ .

وسكت القومیسیر فسأله بوارو : - ومن الذى يقيم فى الفيللا يا سيدى ؟

- فرانسواز العجوز ، وهى مديرة البيت ، وقد قضت فيه مدة كبيرة مع أصحاب الفيللا السابقين .. وفتاتان .. اختان : - دنيز وليونى أولار ، وهما من مواليد مرلنفيل ، ووالداهما محترمان .. ثم هناك السائق الذى جاء به مستر رينو من انجلترا ، وهو فى اجازة حاليا .. وأخيرا مسز رينو وابنها مستر جاك رينو ، وهو الآخر متغيب عن البيت فى الوقت الحاضر .

أحنى بوارو رأسه فى حين صاح مسيو هوتيه يقول : - ليمارشان !

وأقبل شرطى فقال له : - أحضر فرانسواز .

غاب الشرطى ، ولم يلبث أن عاد بعد لحظات تتقدمه فرانسواز ، وكانت شديدة الفزع ، وخاطبها القاضى قائلا :

- هل اسمك فرانسواز أريشيه ؟

- نعم يا سيدى .

- هل تعملين فى فيللا جنفييف منذ وقت طويل ؟

- منذ احدى عشرة سنة مع سيدتى الفيوكنتيس ، وعندما باعت الفيللا فى الربيع الماضى رضيت أن أبقى فى خدمة السيد الانجليزى ، وما كنت أتصور أبدا .

قاطعها القاضى قائلا : - بلا شك .. بل شك .. من المسئول عن اغلاق الباب العمومى ليلا ؟

- أنا يا سيدى .. كنت أغلقه دائما كل ليلة .

- وأمس ؟

- أغلقته كالعادة .

- هل أنت واثقة ؟

- نعم يا سيدى

- وكم كانت الساعة عندئذ ؟

- العاشرة والنصف كالعادة يا سيدى .

- وأهل البيت ؟ .. هل كانوا قد أووا الى فراشهم ؟

- كانت سيدتى قد أوت الى غرفتها منذ وقت طويل أما دنيز وليوبى فقد صعدتا معى .. وكان السيد لا يزال فى مكتبه .

- اذا كان أحد قد فتح الباب بعد ذلك فلا يمكن أن يكون الا مستر رينو نفسه

هزت فرانسواز كتفيها وقالت : - ولماذا يفتحه يا سيدى ؟ ان القتلة واللصوص فى كل مكان .. ان سيدى ليس غبيا ، ثم أن السيدة كانت قد انصرفت .

قاطعها القاضى فقال فى حدة : - السيدة ؟ .. أية سيدة .

- السيدة التى اقبلت لزيارته .

- اذن فقد أقبلت سيدة لزيارته مساء أمس ؟

- نعم يا سيدى .. وكانت تأتى لزيارته كثيرا .

- ومن هى ؟ .. هل تعرفينها ؟

قالت فرانسواز فى شئ من الخبث : - كيف تريد منى أن أعرف من هى ؟ اننى لم أفتح لها الباب أمس .

صاح القاضى وهو يهوى بقبضته : - آه ، لا يجب أن تهزئى بالبوليس .. اننى أطالبك بأن تخبرينى حالا باسم السيدة التى جاءت لزيارة مستر رينو أمس .

قالت فرانسواز متذمرة : - البوليس .. البوليس .. البوليس .. ما كنت أعتقد اننى سأتورط مع البوليس .. اننى أعرف هذه المرأة على كل حال .. انها مدام دوبريل أطلق القوميسير صيحة تدل على الدهشة وقال فى اهتمام : - مدام دوبريل ، صاحبة فيللا مرجريت فى آخر الطريق ؟

- نعم .. انها هى .

وهزت المرأة رأسها فى ازدراء .. وقال القوميسير : - مدام دوبريل .. هذا محال !

قالت فرانسواز : - آه .. هذا هو ما نجنيه دائما عندما نذكر الحقيقة .

قال قاضى التحقيق : - كلا ، كلا .. اننا استغربنا ، وهذا كل شئ .. مدام دوبريل ومستر رينو .. اذن ؟ .. أكان الأمر كذلك اذن ؟

- وانى لى أن أعلم ؟ .. ولكن ماذا تريد ؟ ان السيد كان كريما وثريا جدا ، ومدام دوبريل فقيرة وأنيقة جدا على الرغم من انها تعيش مع ابنتها فى هدوء .. انها ليست شابة ، ومع ذلك فقد رأيت رجالا يلتفتون لكى يتأملوها بعد أن تمر بهم .. ثم أن نفقاتها زادت فى الأيام الأخيرة ، وكل المدينة تعرف ذلك ،

وهزت فرانسواز رأسها عن يقين ، فى حين راح القاضى يداعب لحيته فى تفكير .

وقال أخيرا : - وكيف تقبلت مسز رينو صداقتهما هذه ؟

هزت فرانسواز كتفيها وقالت : - انها كانت ظريفة جدا .. ومهذبة جدا ، ويبدو أنها لم تكن تشك فى شئ .. ومهما يكن فان القلب يتألم يا سيدى ، أليس كذلك .. وقد رأيت سيدتى تزداد شحوبا وهزالا يوما بعد يوم .

انها ليست نفس المرأة التى جاءت هنا منذ شهر . وقد تغير السيد كثيرا هو الآخر وصادفته متاعب جمة .. وقد لاحظنا أنه يوشك على الانهيار ، وليس هذا بمستغرب مع علاقة علنية كهذه دون احتشام أو تحفظ .

- قلت ان مدام دوبريل كانت قد انصرفت ؟

- فى نحو العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين يا سيدى .

- هل تعرفين متى صعد مستر رينو الى غرفته ؟

- سمعته يصعد بعدنا بعشر دقائق ، فان درجات السلم تصدر صريرا عند صعود أو هبوط أى شخص .

- أهذا كل شئ ؟ .. ألم تسمعى أى صوت آخر خلال الليل ؟

- كلا يا سيدى .

- من أول من هبط من الخدم صباح اليوم ؟

- أنا يا سيدى .. وقد لاحظت على الفور ان الباب العمومى مفتوح

- ونوافذ الطابق الأرضى ؟ .. هل كانت كلها مغلقة ؟

- نعم يا سيدى .. لم يكن هناك ما يريب ، وبدا أن كل شئ فى موضعه .

- حسنا يمكنك أن تنصرفى يا فرانسواز .

مضت المرأة العجوز نحو الباب وهى تجر قدميها . وما أن بلغت العتبة حتى نظرت الى الخلف وقالت :

- سأقول لك شيئا يا سيدى .. ان مدام دوبريل هذه امرأة شريرة .. أوه ، نعم .. ان المرأة تعرف كيف تحكم على امرأة أخرى .. تذكر قولى هذا .. انها امرأة شريرة .

وغادرت فرانسواز الغرفة على أثر ذلك .

ونادى القاضى قائلا : - ليونى أولار .

وأقبلت ليونى ، وكانت تبكى .. واستجوبها مسيو هوتيه ببراعة ، فذكرت كيف وجدت سيدتها مقيدة ومكممة .. وقالت انها لم تسمع شيئا خلال الليل .

وتبعتها أختها دنيز وقالت أن سيدها تغير كثيرا فى الأيام الأخيرة .

- لاريب أن المافيا هى التى كانت تطارده .. رجلان مقنعان ! .. هى المافيا لا شك فى ذلك .

قال القاضى فى رفق : - هذا جائز .. ولكن قولى لى يا بنيتى .. هل أنت التى فتحت الباب لمدام دوبريل مساء أمس .

- لم يكن ذلك مساء أمس يا سيدى .. وانما مساء أمس الأول .

- ولكن فرانسواز قالت لنا انها أقبلت مساء أمس .

- كلا يا سيدى .. لقد أقبلت سيدة لرؤية مستر رينو مساء أمس ، ولكنها لم تكن

مدام دوبريل .

ودهش القاضي ولكن الفتاة أصرت على قولها . وقالت انها تعرف مدام دوبريل . وان السيدة التى جاءت أمس سمراء هى الأخرى ، ولكنها أقصر قامة وأصغر سنا .

- هل سبق لك أن رأيت هذه السيدة .

- كلا يا سيدى .. ولكن أظن انها انجليزية .

- انجليزية ؟

- نعم يا سيدى .. وقد طلبت رؤية مستر رينو ، وكانت تتكلم بالفرنسية ، ولكن لهجتها نمت عليها ..ومهما يكن فانهما حين خرجا من المكتب كانا يتكلمان بالانجليزية .

- هل سمعت حديثهما ؟ .. أعنى هل فهمت ماذا كانا يقولان ؟

قالت دنيز فى هدوء : - أوه .. اننى أتكلم الانجليزية .. كانت السيدة تتكلم بسرعة بحيث لم أفهم حديثها ، ولكننى سمعت كلمات سيدى الأخيرة وهو يفتح لها الباب لكى تخرج .

وسكتت لحظة ثم قالت بالانجليزية : - سمعته يقول لها : - نعم ، نعم . ولكن اذهبى الآن بالله .

وصرف القاضى دنيز بعد ذلك .. وبعد أن فكر بضع لحظات عاد فاستدعى فرانسواز ، وسألها ان كانت لم تخطئ فى تاريخ زيارة مدام دوبريل ، ولكن فرانسواز أصرت على أقوالها ، وقالت ان مدام دوبريل جاءت بالأمس ، وزعمت أن دنيز اخترعت قصة السيدة الأجنبية على أمل أن تحظى بشئ من الاهتمام ، ولكى تظهر معرفتها باللغة الانجليزية ، وأن من الجائز أن مستر رينو لم ينطق بهذه العبارة بالانجليزية ، وأنه اذا كان قد نطق بها فان ذلك لا يدل على شئ ، لأن مدام دوبريل تتكلم الانجليزية وتستخدمها فى حديثها مع مستر رينو .

وأردفت تقول : - ومستر جاك ، ابن السيد يقيم هنا عادة ولا يجيد الفرنسية .

ولم يسع القاضى الا أن يصرفها ، ثم سأل عن السائق فقيل له أن مستر رينو كان قد ذكر أنه لن يحتاج الى السيارة فى الوقت الحاضر وقال ان فى مقدور السائق ويدعى ماستر أن يأخذ أجازته السنوية .

وقطب بوارو جبينه فى شئ من الحيرة فقلت : - ما الخبر ؟

ولكنه هز رأسه وألقى هذا السؤال : - معذرة يا مستر بكس .. ولكن لاشك أن مستر رينو يعرف القيادة .

فقالت : - كلا .. ان السيد لم يكن يعرف قيادة السيارة أبدا .

زادت حيرة بوارو فقلت : - الا يمكن أن تخبرنى بما يقلقك ؟

- ألم تفهم ؟ .. أن مستر رينو قال فى خطابه أنه سيرسل السيارة الى كاليه لكى أمضى إليه .

قلت : - لعله كان يعنى سيارة يريد أن يستأجرها ؟

- لاشك فى ذلك .. ولكن لماذا يستأجر سيارة ولديه واحدة ؟؟ .. ولماذا يختار اليوم السابق لمجيئنا لكى يمنح سائقه أجازة ؟ .. هل أراد أن يتخلص منه لسبب ما قبل قدومنا ؟ .

* * *

الخطاب

كانت فرانسواز قد غادرت الغرفة ، وراح قاضى التحقيق يدق بأصبعه على المائدة فى تفكير ثم قال أخيرا :

- اننا ازاء أقوال متناقضة تماما يا مستر بكس فمن نصدق ؟ .فرانسواز أم دنيز ؟

أجاب القوميسير فى حزم : - دنيز طبعا ، فهى التى استقبلت الزائرة ، ثم أن فرانسواز عجوز وعنيده ، ولاريب انها تكره مدام دوبريل .. وفوق ذلك فلدينا ذلك المستند الذى يثبت وجود علاقة بين مستر رينو وامرأة أخرى .

صاح مسيو هوتيه : - آه .. اننا نسينا أن نحدث مسيو بوارو عن ذلك .

وبحث بين الأوراق الموجودة فوق المائدة ، وبسط يده أخيرا بورقة لمستر بوارو وهو يقول :

- اننا وجدنا هذه الرسالة فى جيب القتيل .

أخذ بوارو الرسالة ، وكانت مجعدة وقذرة ومكتوبة بالانجليزية بخط مائل قليلا .. وكان هذا نصها :

" حبيبى .

لماذا لم تكتب الى منذ وقت طويل .. انك لا تزال تحبنى ، أليس كذلك ؟ ان رسالتك الآخيرة كانت متغيرة وباردة وعجيبة ، ثم هذا الصمت الطويل .. اننى خائفة ، فهل زال حبك لى . ولكن هذا مستحيل .. ما أغبانى اذ يخطر لى هذا دائما .. ولكن لو أن حبك لى قد خبا حقا فلا أدرى ماذا أفعل .. قد انتحر لأننى لن أستطيع الحياة من غيرك .. اتصور أحيانا أن امرأة أخرى تفرق بيننا .. اذا كان الأمر كذلك فعليها

أن تكون على حذر ، وأنت كذلك فانني لن أحجم عن قتلك لكيلا تأخذك منى .. وهذا صحيح .

ولكننى أترك الخيال لعنانى وأكتب حماقات ، فانك تحبنى ، وأنا أحبك ..نعم . اننى أحبك .. أحبك .

حبيبتك بيللا التى تعبدك ".

ولم يكن هناك تاريخ ولا عنوان ..وأعاد بوارو الخطاب الى مسيو هوتيه وهو يقول: - وما هى ظنونك ؟

هز قاضى التحقيق كتفيه وقال : - كان مستر رينو على علاقة بتلك الانجليزية طبعا ، ولكنه جاء هنا والتقى بمدام دوبريل وارتبط بها .. وفتر شعوره نحو الأخرى ، فارتابت فى الأمر على الفور .. وفى هذا الخطاب تهديد مباشر .. ان هذه القضية على غاية من البساطة يا مستر بوارو .. انها الغيرة .. وقد أصيب مستر رينو بطعنة فى ظهره ، وهذا يدل على أن الجريمة جريمة امرأة .

هز بوارو رأسه وقال : - نعم الطعنة فى الظهر تدل على ذلك ، ولكن حفر القبر لا فانه عمل شاق لا يقدم عليه الا الرجل .

صاح القوميسير : - انت على حق .. لم نفكر فى هذا الأمر .

قال مسيو هوتيه : - كما سبق أن قلت فان القضية تبدو على غاية من البساطة .. ولكن الرجلين المقنعين والخطاب الذى أرسله مستر رينو اليك كل ذلك جعل الأمر يبدو معقدا .. فيبدو اننا أزاء سلسلتين من الظروف ، لا علاقة لكل منهما بالأخرى .. وبخصوص الخطاب الذى أرسله اليك أفلا تعتقد أنه يشير الى المدعوة بيللا وتهديدها له .

أتى بوارو باشارة سلبية وقال : - هذا غير محتمل فان مستر رينو قضى حياة حافلة بالمغامرات فى أماكن مجهولة ، ولا يعقل أن يطلب الحماية من امرأة

أومأ القاضى برأسه فى قوة وقال : - هذا صحيح .. لابد لنا أن نبحث عن تفسير للخطاب اذن .

وقال القوميسير : - سوف أبرق الى بوليس سنتياجو ، وأطلب منهم التحرى عن القتيل ، وعن غرامياته وأعماله وأصدقائه وأعدائه .. وأن الأمر ليكون عجيبا حقا اذا لم يوجد بين كل هذا نقطة تبرر ارتكاب هذه الجريمة الغامضة .

وقال قاضى التحقيق : - ولعل زوجته تستطيع أن تهدينا الى شئ .

وقال بوارو : - ألم تجدوا خطابات أخرى للمدعوة بيللا بين أوراق مستر رينو .

كلا .. اننا فحصنا أوراقه الخاصة فى مكتبه طبعا ، ولكننا لم نجد بينها شيئا ذا قيمة .. كان كل شئ مرتبا ومنظما ، والشئ الوحيد الذى يخرج عن المألوف هو وصيته وها هى .

فحص بوارو المستند على عجل وقال : - أنه أوصى بألف جنيه لمستر ستونور ، فمن هو ؟

- هو سكرتير مستر رينو ، وقد بقى فى انجلترا ، ولكنه جاء لتمضية عطلة نهاية الأسبوع هنا مرة أو مرتين .

- وترك باقى ثروته دون أية شروط لزوجته الواز .. ونصوص الوصية بسيطة فى حد ذاتها لكنها قانونية تماما ، وقد شهد عليها دنيز وفرانسواز وليس فى هذا غرابة .

وأعاد المستند للقاضى ، وقال مستر بكس عندئذ : - لعلك لم تلحظ .

قاطعه بوارو قائلا فى شئ من الخبث : - التاريخ ؟ ولكننى لاحظت أنه كتب هذه الوصية منذ أربعة أيام فحسب ، ولعله فعل ذلك عندما أحس بالخطر الذى يتهدده .. ان اثرياء كثيرين يموتون قبل أن يتمكنوا من تحرير وصاياهم ، لأنهم لا يفكرون فى الموت أبدا .. وأنا لا أحب أن أعجل بالاستنتاج ، ولكن هذه الوصية تدل على أنه كان يكن لزوجته أعظم الحب على الرغم من علاقاته .

قال مسيو هوتيه فى شئ من الشك : - نعم .. ولكن لعله ظلم ابنه بذلك ، فقد جعله تابعا لأمه ، واذا حدث وتزوجت ، واستطاع زوجها أن يؤثر عليها ، فقد لا يرى الشاب لثروة أبيه لونا .

هز بوارو كتفيه وقال : - ان الرجل حيوان مغرور .. وربما لم يخطر لمستر رينو أن زوجته قد تتزوج من بعده .. أما عن الابن فلعل الأب كان حكيما عندما ترك كل ثروته لزوجته ، لأن أبناء أصحاب الملايين مسرفون عادة .

- لعلك على حق يا مسيو بوارو .. لاريب انك تريد الآن رؤية مسرح الجريمة .. اننى آسف لأن الجثة نقلت من مكانها ، ولكننا التقطنا لها صورا عديدة من كل الجوانب الممكنة ، وستكون تحت تصرفك بمجرد الفراغ من تحميضها .

- أشكرك يا سيدى .

ونهض القوميسير عندئذ وقال : - تفضل معى .

كانت الغرفة التى يتخذها مستر رينو مكتبا له صغيرة ، ولكن أثاثها كان وثيرا يدل على ذوق سليم ، بها مكتب عديد الأدراج يقع أمام النافذة ، ومقعدان كبيران من الجلد أمام المدفأة تفصل بينهما منضدة مستديرة فوقها بعض الصحف والمجلات الحديثة الصدور . وبالغرفة دولابان لكتب ، وبوفيه من خشب البلوط ، وستائر النوافذ والباب من لون أخضر هادئ والسجادة من نفس اللون .. ووقف بوارو لحظة جامدا يتأمل كل ذلك ، ثم تقدم الى الأمام خطوة ، ومر بيده على جلد المقعدين ، ثم أخذ مجلة من فوق المنضدة ومر بأصبعه فوق البوفيه ، ثم هز رأسه فى استحسان تام فقلت أداعبه :

- ليس هناك أية ذرة من الغبار .

أجابنى يقول فى شئ من التهكم : - هذا صحيح يا صديقى ، وهو أمر يؤسف له حقا .

وراح يدور بعينيه هنا وهناك ، وقال فجأة فى شئ من الارتياح : - آه ان طرف

السجادة مقلوب .

وانحنى لكى يعدلها ، ولكنه لم يلبث أن أطلق صيحة ثم اعتدل واقفا بعدها ، وهو يمسك بقصاصة من الورق فى يده وقال :

- ان الخدم فى فرنسا يسهون عن الكنس تحت السجاجيد ، كما هو الحال مع الخدم فى انجلترا .

وأخذ يكنس القصاصة ، واقتربت منه لكى أفحصها .. وصاح القوميسير : - انها جزء من شيك .

وكان الجزء عبارة عن قطعة من الورق مربعة ، حجمها نحو سنتيمترين وعليها كلمة " دوفين " مكتوبة بالحبر .. وقال بكس :

- كان الشيك مكتوبا لصالح دوفين أو لعل دوفين هو الذى حرره .

قال بوارو : - بل مكتوب لصالح دوفين لأن الخط خط مستر رينو اذا لم أخطئ .

وأثبت قوله بمقارنة الخط بمفكرة مستر رينو الموجودة فوق المكتب ، وقال القوميسير فى ارتباك :

- الحق اننى لا أدرى كيف غاب عنى ذلك .

ضحك بوارو وقال : - ان المغزى من هذه النقطة هو أن تبحث دائما تحت السجاجيد وسوف يقول لك صديقى هاستنجز اننى أشعر بعذاب حقيقى عندما أرى شيئا مقلوبا أو فى غير موضعه .. وما أن رأيت هذه السجادة المقلوبة حتى قلت لنفسى لاريب أن بعضهم دفع مقعدا بحيث قلبت رجله طرف السجادة ، واننى قد أجد تحتها شيئا لم تفطن الخادمة اليه .. وعدم وجود أية ذرة من الغبار دليل على أن الخادمة نظفت هذه الغرفة صباح اليوم .. وانى اتصور ما حدث كما يلى : لاريب أن مستر رينو حرر شيكا أمس .. ومساء أمس بالتحديد لشخص يدعى دوفين ، ثم مزق أحدهم هذا الشيك فيما بعد ، والقاه فوق السجادة .

وكان بكس قد قرع الجرس قبل أن يفرغ بوارو من عبارته ، وأقبلت فرانسواز ، وقالت انها رأت شيكا ممزقا فوق السجادة وانها جمعت أجزاءه وألقت بها فى المدفأة .

وصرفها بكس محنقا ولكن لم يلبث أن انبسطت أساريره ، وأسرع الى المكتب ، وما هى الا لحظة حتى كان يراجع كعوب دفتر الشيكات .. ولكن الكعب الأخير كان خاليا من أية كتابة .. وقال بوارو وهو يربت على كتفه :

- لا تحزن يا صديقى .. لاريب ان فى استطاعة مسز رينو أن تكشف لنا الغموض الذى يحيط بهذا الشخص المدعو دوفين .

وفيما نحن نستدير لنغادر الغرفة قال بوارو فى غير اكتراث : - ألم يستقبل مستر رينو زائرة الأمس فى هذه الغرفة ؟

- نعم .. ولكن كيف عرفت ذلك ؟

- من هذه .. وجدتها فوق مسند مقعد الجلوس .

وكان يمسك بين ابهامه وسبابته شعرة طويلة سمراء .. شعرة امرأة .

وقادنا مستر بكس عن طريق باب الخدم الى كشك صغير ملحق بالبيت ، وأخرج مفتاحا من جيبه فتح به الباب وهو يقول :

- ان الجثة هنا ، نقلناها من مسرح الجريمة قبل حضورك بقليل ، بعد أن فرغ المصورون من عملهم .

كانت الجثة فوق الأرض ، تغطيها ملاءة رفعها مستر بكس بحركة سريعة . وكان رينو رجلا معتدل القامة ، نحيف الجسم يبدو فى الخمسين من عمره ، وخط المشيب شعره .. وكان حليق الوجه ذا أنف طويل دقيق وعينين متقاربتين وبشرة سمراء ، شأن من قضى كل حياته فى المناطق الاستوائية .. شفتاه مقلوبتان ، تنم ملامح وجهه عن الدهشة والذعر فى نفس الوقت .

وقال بوارو : - واضح من وجهه أنه طعن من الخلف .

وقلب الجثة فى رفق ، رأينا بين الكتفين بقعة كبيرة مستديرة داكنة تلوث المعطف الأسمر ، وفى وسطها شق فحصه بوارو فى عناية فائقة ثم قال :

- الديكم أية فكرة عن السلاح الذى استخدم فى ارتكاب الجريمة .

أخذ القوميسير إناءً كبيرا من الزجاج من فوق رف رأيت فيه قاطعة خطابات ، لها مقبض أسود ، نصل ضيق لامع ، لا يتجاوز طوله أكثر من عشر بوصات ، .. نظر بوارو اليه فاحصا ثم قال :

- يبدو أنه حاد جدا .

قال بكس محنقا : - لم نجد به أى أثر للبصمات لسوء الحظ .. لاريب أن القاتل كان يلبس قفازا .

قال بوارو : - هذا يدل على أننا ازاء قاتل ذكى .

وترك الجثة تعود الى وضعها الأول فى رفق وهو يقول : - أرى أن القتيل لم يكن يرتدى تحت المعطف غير ثيابه الداخلية .

قال بكس : - نعم .. وقد أثارت هذه النقطة دهشة قاضى التحقيق .

وطرق بعضهم الباب فى هذه اللحظة ، وكان بكس قد أغلقه خلفنا فمضى وفتحه . ورأينا فرانسواز تحاول أن تسترق النظر الى الداخل فى فضول . وسألها بكس عن السبب فى قدومها فقالت :

- أرسلتنى سيدتى لكى أقول لكم أنها تشعر بتحسن كبير ، وأنها على استعداد لاستقبال السيد القاضى .

وأسرع بكس يقول : - حسنا .. أخطرى مسيو هوتيه اذن ، وقولى له أننا قادمون حالا .

ولكن بوارو بقى لحظة يتأمل الجثة . وخيل لى أنه سيوجه اليها الحديث ، ويقول فى صوت مسموع أنه لن يشعر بالهدوء الا بعد أن يكتشف القاتل ، ولكنه عندما تكلم نطق بشئ غريب لا يتفق مع خطورة الموقف لأنه قال : - ان معطفه هذا طويل جدا ..

قصه مسز رينو

كانت مسز رينو راقدة فوق أريكة ، وقد وقف الدكتور دوران بجوارها . وكانت مسنة وخط المشيب شعرها تتدفق نشاطا وحيوية وتدل ملامحها على انها اعتادت الأمر والنهى .

حيتنا بايماءة من رأسها قائلة : - تفضلوا بالجلوس أيها السادة .

وجلسنا جميعا ، وأخذ كاتب قاضى التحقيق مكانه أمام منضدة صغيرة مستديرة وبدأ مسيو هوتيه الحديث فقال :

- أرجو يا سيدتى الا يكون الأمر شاقا عليك وأن تذكرى لنا ما حدث بالأمس .

- أبدا يا سيدى . أننى أعرف قيمة الوقت ، وأنتم تبحثون عن القتلة الأشرار .

- حسن جدا يا سيدتى . أظن أن الأمر يكون أسهل لو اقتصرت على الرد على الأسئلة التى سألقيها عليك متى آويت الى فراشك أمس ؟

- فى التاسعة والنصف يا سيدى . كنت متعبة .

- وزوجك ؟

- بعد ذلك بساعة كما يخيل لى .

- هل كان يبدو منزعجا ؟

- كلا .. كان كعادته دائما .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- رقدنا .. وصحوت وأنا أحس بيد تضغط على فمى . وحاولت أن أصرخ ولكن عبثا .. وكان بالغرفة رجلان مقنعان .

- كان أحدهما طويل القامة له لحية سوداء ، أما الآخر فكان قصيرا ويدينا ذا لحية شقراء . وكان كل منهما يلبس قبعة يرخيها فوق عينيه .

قال القاضي في تفكير : - لحيتان .. هذا عجيب ..

- أتعنى أنهما لحيتان زائفتان ؟

- نعم يا سيدتي ، ولكن استمري .

- كان القصير هو الذي يضغط بيده على فمي . ثم دس كمامة فيه وأوثق قدمي ويدي . أما الآخر فكان يهدد زوجي . وعندما فرغ الرجل القصير مني أسرع الى زميله وأرغم الرجلان زوجي على النهوض ، والذهاب معهما الى دورة المياه المجاورة ، وقد حاولت الانصات الى حديثهم على الرغم من الخوف الشديد الذي استولى علي . كانا يتكلمان بصوت خافت جدا ، فلم أفهم شيئا من حديثهما ، ولكنني عرفت اللغة التي يتكلمان بها ، فهي لهجة أسبانية تستخدم في بعض بلاد أمريكا الجنوبية ، وكان يبدو أنهما يطالبان زوجي بشئ ولم يلبث أن ارتفع صوتاهما لفرط الغضب . وأظن أن الرجل الطويل هو الذي قال : " انك تعرف ماذا نريد .. ؟ السر .. أين هو .. ؟ ولا أدري بماذا رد عليه زوجي ولكن الآخر صاح يقول : أنت تكذب .. أننا نعرف أنه معك .. ؟ أين مفاتيحك .. ؟ وعندئذ سمعت درجا يفتح وتوجد خزانة حديدية بجوار غرفة نوم زوجي ، ويحتفظ فيها دائما بمبلغ كبير من المال وتقول ليوني أن هذه الخزانة اغتصبت ، وأن المال اختفى ، ولكن يبدو أنهما لم يجدا ما يبحثان عنه في الخزانة ، لأنني لم ألبث أن سمعت الرجل الطويل يسب . ويطلب من زوجي أن يرتدي ثيابه ، وأظن أن حركة بالبيت قد أزعجتهما ، لأنهما أدخلا زوجي الى غرفتي قبل أن يفرغ من ارتداء ثيابه .

قاطعها بوارو قائلا : - عفوا .. ولكن الا يوجد منفذ آخر لغرفة دورة المياه ؟

- كلا يا سيدي .. كان الرجل القصير يتقدم زوجي بينما تبعه الرجل الطويل ، وهو لا يزال ممسكا بالخنجر . وقد حاول بول أن يتخلص منهما لكي يأتي الي . ورأيت

الفزع فى عينيه وتحول الى الرجلين وقال : - يجب أن أتحدث مع زوجتى . ثم دنا من فراشى ، وأردف : لا تخشى شيئا يا الواز . سأعود قبل الصباح .. وجره الرجلان عندئذ وقال لى الرجل الطويل : - تذكرى .. صيحة واحدة فتموتين .

واختتمت مسز رينو قصتها قائلة : - ويبدو أنه أغمى على ، لأن كل ما أتذكره بعد ذلك هو أن ليونى كانت تدلك يدى ، وتحاول أن تصب بعض الكونياك فى فمى .

قال القاضى : - أليس لديك فكرة عما كان يبحث عنه هذان الرجلان ؟

- أبدا يا سيدى .

- هل كنت تعلمين أن زوجك كان يخشى شيئا ما ؟

- نعم .. فقد لاحظت أن تغييرا كبيرا طرأ عليه منذ نحو عشرة أيام .

- وهل سألت زوجك عن سبب هذا التغيير ؟

- سألته مرة ، ولكنه تهرب فى الرد على ، غير أننى كنت واثقة ان هناك ما يقلقه ولما رأيت أنه لا يريد الافضاء بشئ تظاهرت بأننى لم ألحظ شيئا .

- هل كنت تعلمين أنه لجأ الى أحد المخبرين السريين صاحت مسز رينو فى ذهول كبير : - أحد المخبرين السريين ؟ .

- نعم .. وأعنى به هذا السيد ، ويدعى مستر هركيول بوارو ، وقد أقبل اليوم بناء على طلب زوجك .

وأخرج من جيبه خطاب مستر رينو ، وأعطاه لها ، فقرأته فى دهشة صادقة ثم قالت :- لم أكن أعلم شيئا من هذا . لاريب أنه كان يدرك مدى الخطر الذى كان يتهدده .

- أرجوك أن تردى على بكل صراحة يا سيدتى .. هل يوجد فى ماضى زوجك فى أمريكا الجنوبية أى حادث يمكن أن تلقى الضوء على مصرعه ؟

فكرت مسز رينو طويلا ، ثم هزت رأسها سلبا ، وقالت : - لا أستطيع أن أتذكر

شيئا . من المؤكد أن زوجى كان له أعداء كثيرون ، وهم أناس تفوق عليهم بطريقة ما ، ولكننى لا أستطيع أن أتذكر حادثة معينة .

داعب قاضى التحقيق ذقنه فى حيرة وقال : هل يمكن أن تحددى لنا ساعة الجريمة ؟

- نعم .. اننى أتذكر ذلك تماما ، لأنى سمعت الساعة تدق الثانية .

وأشارت الى منبه صغير للرحلات موضوع فى علبة جلدية قديمة فوق المدفأة .

وأسرع بوارو فنهض ومضى الى المنبه ، وفحصه فى عناية ثم هز رأسه فى ارتياح .

وصاح مستر بكس فجأة : - آه .. هذه ساعة يدوية ، لاريب أن القاتلين أوقعاها سهوا من فوق طاولة الزينة فانكسرت ولم يفطنا الى أنها ستتخذ قرينة ضدهما .

وأزال قطع الزجاج المكسور فى رفق ، ثم صاح فى دهشة .. يا الهى .. ان العقربين واقفان عند الساعة السابعة ..

وصاح قاضى التحقيق مشدوها هو الآخر : - كيف هذا ولكن بوارو أسرع فأخذ الساعة من يد القوميسير ورفعها الى أذنه ثم قال : - ان زجاجها مكسور فى الواقع ، ولكنها ما زالت سليمة .

وقابل الجميع تفسيره مبتسمين ، غير أن قاضى التحقيق لم يلبث أن قال :

- ولكن الساعة لم تبلغ السابعة بعد .

أجاب بوارو فى رفق : - كلا .. أن الساعة تجاوزت الخامسة بقليل ، ولكن لاريب أن هذه الساعة بالذات تقدم يا سيدتى .

قطبت مسز رينو جبينها وقالت : - انها تقدم فعلا ولكن ليس الى هذا الحد .

أتى مسيو هوتيه بحركة تدل على فروغ الصبر ، واستأنف استجوابه قائلا :

- كان الباب العمومى للفيلا مفتوحا يا سيدتى ، ويبدو أن القاتلين دخلا منه ، ولكننا لم نجد مع ذلك أى أثر لاغتصاب القفل ، فهل يمكن أن تفسرى لنا هذا ؟

- لاريب أن زوجى خرج ليتمشى قليلا قبل أن ينام ، ثم نسى أن يغلق الباب

بالمفتاح عند عودته .

- أيمكن هذا ؟

- نعم ، فان زوجى كان شارد الذهن دائما .

قال القوميسير : - لقد أصر الرجلان على أن يرتدى مستر رينو ثيابه . والاستنتاج الوحيد الذى يمكن أن نستخلصه من ذلك هو أن المكان الذى كانا ينويان الذهاب اليه ، وأعنى به المكان الذى يختفى فيه السر ، بعيد عن هنا شيئا ما ،

هز قاضى التحقيق رأسه موافقا وقال :- هو بعيد عن هنا وقريب فى نفس الوقت، لأن مستر رينو قال أنه سيعود قبل الصباح .

قال بوارو فجأة : - فى أية ساعة يغادر آخر قطار محطة مرلنفيل ؟ .

- فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين . وآخر قطار يصل اليها فى الثانية عشرة وسبع دقائق . ولكن لاريب أنه كانت هناك سيارة فى انتظار القاتلين.

قال بوارو وقد خبا امله : - طبعا .

وقال قاضى التحقيق فى شئ من الأمل : - قد نستطيع أن نستفيد فى هذه النقطة، فلا ريب أن هناك من لاحظ سيارة يركبها رجلان غريبان . عليك أن تهتم بهذه النقطة يا مستر بكس .

وابتسم ثم عاد يسأل مسز رينو : - هل تعرفين شخصا باسم دوفين ؟

قالت مسز رينو فى تفكير : - دوفين .. ؟ كلا .

- هل تعرفين سيدة تدعى بيللا ؟

ونظر القاضى الى مسز رينو مليا وهو يتوقع أن يرى على وجهها أمارات الغضب أو الارتباك ، ولكنها اكتفت بأن هزت رأسها فى حركة طبيعية فعاد يقول :

- هل تعرفين أن زوجك استقبل سيدة مساء أمس ؟ وعندئذ رأى وجنتيها تضطرمان شيئا فشيئا على الرغم من أنها أجابت فى هدوء :

- كلا ..

أشار القاضى الى القوميسير فهز هذا الأخير رأسه ، ثم نهض وغادر الغرفة ، وعاد بعد قليل وبين يديه الاناء الزجاجى الذى رأيناه فى الكوخ .. وأخرج منه سلاح الجريمة وسألها فى رفق : - هل تعرفين هذا الخنجر يا سيدتى ؟.

أطلقت صرخة وقالت : - نعم .. انه قاطعة الورق الخاصة بى .

وارتدت الى الخلف ، وهى ترى حدها الدامى ، واتسعت عيناها رعبا ، وقالت :

- أهذا دم ؟

- نعم يا سيدتى .. لقد قتل زوجك بهذا السلاح .

وأسرع فأخفاه وهو يقول : - هل أنت واثقة أن هذا الخنجر كان موجودا أمس فوق مائدة الزينة ؟

- أوه ، نعم .. انه هدية من ابنى .. كان فى سلاح الطيران أثناء الحرب .. وقد صنع هذا الخنجر من حديد احدى الطائرات ، وأهدانى اياه كتذكار من الحرب .

- آه .. أننى أفهم .. وبهذه المناسبة ، أين ابنك يا سيدتى ..؟ من الضرورى أن نبلغه بما حدث فى أقرب فرصة .

- جاك .. ؟ أنه فى الطريق الى بيونس أيرس .

- ماذا ؟

- نعم .. لقد أبرق زوجى اليه أمس . كان قد بعث بجاك الى باريس لبعض أعماله ، ولكنه لم يلبث أن رأى أن من الضرورى أن يذهب جاك الى بيونس ايريس فورا ، فأبرق اليه لكى يستقل الباخرة التى تغادر شربورج أمس فى طريقها الى أمريكا الجنوبية .

- الديك فكرة عن طبيعة الأعمال التى تقتضى ذهابه الى بيونس ايريس ؟

- كلا يا سيدى .. على أن ابنى لم يكن مفروضا أن يبقى فى بيونس ايريس ، فقد

كان يتعين عليه أن ينتقل منها الى سنتياجو بطريق البر .

صاح قاضي التحقيق والقوميسير في وقت واحد سنتياجو .. مرة أخرى ..

وفي هذه اللحظة بالذات ووسط الدهشة التي تملكتنا اقترب بوارو من مسز رينو وخاطبها قائلا :

- معذرة يا سيدتي .. ولكن هل أستطيع أن أفحص معصميك؟

دهشت مسز رينو لهذا الطلب ، ولكنها بسطت له يديها .. كانت تحيط بكل من رسغيها دائرة شديدة الاحمرار ، في المكان الذي انغرز فيه الحبل في اللحم .. وخيل لي أن وميضا من الاهتمام لمع في عيني بوارو وهو يفحص معصميها ، ولكن هذا الاهتمام لم يلبث أن خبا فجأة وقال :

- لاريب أن الالم كان شديدا جدا يا سيدتي ؟

وقال قاضي التحقيق في هذه اللحظة : - يجب أن نتصل فورا بمستر رينو الابن عن طريق البرق ، فان من الضروري أن يخبرنا بما يعرفه عن هذه الرحلة الى سنتياجو .

وتردد لحظة ثم قال : - كنت أرجو أن أجده هنا لكي أوفر عليك محنة جديدة يا سيدتي .

- هل تعني التعرف على جثة زوجي .. ؟ أنني قوية يا سيدي ، وأستطيع احتمال المحنة .. أنني على استعداد الآن .

- أوه .. ولكن في مقدورنا أن ننتظر حتى الصباح .

- بل أفضل أن أفرغ من هذا الأمر الآن .. هل تتكرم وتعطيني ذراعك يا سيدي الطبيب ؟

أسرع الطبيب فألقى وشاحا على كتفي مسز رينو ،ثم هبطنا في بطء . وفتح مستر بكس باب الكوخ . وفي اللحظة التالية ظهرت مسز رينو بعتبة الباب . وكانت شاحبة ولكن قسماتها كانت تنطق بالعزم والأصرار .

وتقدمت من الميت ونظرت اليه وما كادت تفعل حتى خذلتها قواها فجأة ، وأطلقت صيحة مدوية قائلة :

- بول .. بول ..

ووقعت الى الأمام وغابت عن الرشد .

وأسرع بوارو اليها ، ورفع حاجبيها ، ثم جس نبضها وعندما رأى أنها فقدت رشدها حقا ، ارتد قليلا ، وأخذني من ذراعي قائلا :

ما أشد غبائي يا صديقي .. انني لم أر في حياتي امرأة تعبر عن الحب واليأس كما عبرت مسز رينو عنهما . ان الفكرة التي كونتها لنفسي خاطئة ، وعلى أن أبدأ من جديد الآن .

* * *

مسرح الجريمة

نقل الطبيب ومسيو هوتيه مسز رينو الى البيت ، وراح القوميسير يتابعهما بعينيه وهو يهز رأسه ثم قال :

- يا للمرأة المسكينة .. انها لم تستطع احتمال الصدمة . ولكن هل تريد أن ترى مسرح الجريمة يا مستر بوارو .. ؟

- كما تشاء يا مسيو بكس .

واجتزنا البيت ، وخرجنا من الباب العمومى . وألقى بوارو نظرة الى السلم وقال فى شئ من الحيرة .

- من العجيب أن الخدم لم يسمعوا شيئا ، لأن السلم يصر صريرا مزعجا ، وهبوط ثلاثة رجال كان كفيلا بايقاظهم من النوم .

- لا تنس أن الوقت كان ليلا ، وأن الجميع كانوا مستغرقين فى النوم بلاريب .

ولكن بوارو هز رأسه وكأن هذا التفسير لم يرقه ، ووقف فى آخر الطريق ، والتفت لكى ينظر الى البيت ثم قال :

- ما الذى دعاهما الى التأكد أن الباب العمومى كان مفتوحا .. ؟ كان من المعقول طبعا أن يحاولا كسر احدى النوافذ ..

قال القوميسير :- ولكن نوافذ الطابق الأرضى مزودة كلها بقضبان من الحديد .

أشار بوارو الى احدى نوافذ الطابق الأول وقال : - هذه هى نافذة غرفة النوم التى غادرناها الآن ، أليس كذلك .. ؟ ان أمامها شجرة يمكن تسلقها ودخول الغرفة عن طريقها بسهولة .

قال القوميسير : - هذا صحيح . ولكن من الجائز أنهما خشيا أن يتركا وراءهما آثار أقدامهما فوق أحواض الزهور .

كانت هناك بعض أحواض الزهور حول الشجرة فعلا ، وتقدم بوارو منها ونظر اليها فاحصا ، ولم يلبث أن صاح قائلا :

- مسيو بكس .. تعال هنا .. توجد آثار أقدام كثيرة .

ولحق القوميسير به ، ولكنه لم يلبث أن ابتسم وقال : - أي عزيزي مستر بوارو . لا ريب أن هذه هي آثار حذاء البستاني . ومهما يكن فليس لها أية أهمية ، لأنه لا يمكن الوصول الى الشجرة من هذه الناحية ، وبالتالي لا يمكن بلوغ نافذة الطابق الأول .

قال بوارو في خجل :- هذا صحيح . أنت لا ترى اذن أهمية لهذه الآثار ؟

- كلا طبعا .

وعندئذ قال بوارو بلهجة أثارت دهشتي الشديدة : - أما أنا فلا أشاركك هذا الرأي . انني أعتقد أن هذه الآثار أهم شئ وجدناه حتى الآن .

اكتفى مستر بكس بأن هز كتفيه وقال : - هلا استأنفنا بحثنا ؟

- بكل سرور .. وسأهتم بهذه الآثار فيما بعد .

وبدلا من أن يهبط الطريق المؤدي الى الباب الحديدي اتخذ طريقا آخر ، الى اليمين أفضى به الى أرض فضاء تشرف على البحر ، وكان هناك مقعد خشبي مستطيل ، وعلى مسافة منه كشك قديم على بعد منه بضع شجيرات تحدد حدود الحديقة التابعة للفيللا . وشق مسيو بكس طريقا بين هذه الشجيرات ، ولم نلبث أن وجدنا أنفسنا في مكان كبير مكشوف . وألقيت نظرة حولي ورأيت شيئا أثار دهشتي وصحت :

- ولكن هذه أرض للجولف .

هز مسيو بكس رأسه وقال : - أن الملعب لم يتم تجهيزه بعد ، وسيفتح للجمهور في الشهر القادم .وقد اكتشف العمال جثة مستر رينو في وقت مبكر من صباح اليوم .

وفجأة أطلقت صيحة ، فقد رأيت على يسارى حفرة طويلة ضيقة ، وقد تمدد بجوارها رجل كان يولينا ظهره . ووثب قلبى بين ضلوعى ، وخيل لى لمجرد لحظة أن مأساة الأمس قد تكررت . ولكن القوميسير بدد أوهامى ، بأن تقدم بضع خطوات الى الأمام وهو يقول فى غضب :

- فيم يفكر رجالى .. ؟ ان لديهم أوامر مشددة بأن لا يدعوا أحدا يقترب دون تصريح منى .

تحول الرجل الينا عندئذ وقال : - ولكننى لست بحاجة الى مثل هذا التصريح .

ونهض فى بطء ، فى حين صاح القوميسير : - أيها العزيز جيرو .. لم يخطر ببالى أنك وصلت . ان قاضى التحقيق ينتظرك فى فروغ صبر .

نظرت الى المفتش جيرو فى فضول كبير . وكنت قد سمعت عن مفتش البوليس المشهور بادارة الأمن العام بباريس . ولكننى لم أكن قد رأيته قبل اليوم . كان طويل القامة ، يناهز الثلاثين من العمر ، عسكرى الهيئة . به مسحة من العجرفة والكبرياء ، تدل على أنه يشعر بأهميته . وقدمنا بكس اليه ، وأردف يقول ان بوارو كان زميلا له ، فومضت عينا المفتش بوميض الاهتمام وقال :

- انى سمعت عنك يا مستر بوارو انك أصبت شهرة كبيرة فى وقت من الأوقات ، ولكن الأساليب أصبحت مختلفة جدا اليوم .

قال بوارو فى رفق : - ولكن الجرائم تتشابه دائما .

ورأيت على الفور أن جيرو يتأهب لكى يتخذ موقفا عدائيا ، فلم يطب له أن يعمل بوارو معه ، وتأكدت أنه اذا اكتشف أى دليل فانه سيحرص قبل كل شئ على اخفائه عنا .

وبدأ مسيو بكس يقول : - ان قاضى التحقيق ..

ولكن جيرو قاطعه يقول فى خشونة : - المهم الآن ليس قاضى التحقيق وانما ضوء

النهار . ان الليل يوشك أن يهبط وأنا على علم بالقضية ، ويمكن لأهل البيت أن ينتظروا حتى الغد . ولكننا اذا أردنا أن نكتشف أثرا جديدا يقودنا الى القاتلين فسوف نجده هنا . أرى أن رجالك قد وطئوا بأقدامهم كل شئ ، وكنت أظن أنهم على شئ من الذكاء .

- ليست هذه آثار رجالى ، وانما آثار العمال الذين اكتشفوا الجثة .

قلب المفتش شفته اشمئزازا وقال : - اننى استطعت معرفة الموضع الذى شق منه الرجال الثلاثة طريقهم الى الملعب ، ومن الواضح أن آثار قدمى الرجل الذى كان يمشى فى الوسط هى آثار مستر رينو لأنها شديدة الوضوح ، أما آثار الرجلين فقد طمست بمهارة حتى لا تدل عليهما .

قال بوارو : - أنك تبحث عن العلاقة الخارجية طبعا ؟

نظر المفتش اليه من على وقال : طبعا .

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى بوارو ، وهم بأن يتكلم ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن رأيه ، وانحنى فوق معول على الأرض فقال جيرو :

- نعم .. انه هو الذى استخدم فى حفرة المقبرة ، ولكنه لم يدلك على شئ . فانه المعول الخاص برينو ، وقد حرص الرجل الذى استخدمه على أن يلبس قفازا .وها هو .

وأشار فى غير اكتراث الى زوج من القفازات ملوث بالطين فوق الأرض وقال :

- هذا قفاز رينو أيضا . ان الرجلين اللذين ارتكبا هذه الجريمة لم يتركا شيئا للصدف . فقد قتلا رينو بخنجره ، واستخدما معوله فى حفر مقبرته ، وحرصا على أن لا يتركا أى أثر ينم عنهما . ولكننى سأغلبهما فمما لاريب فيه أنهما نسيا شيئا ما وسوف اهتدى اليه .

وبدا بوارو مهتما بشئ فوق الأرض ، كان عبارة عن ماسورة صغيرة من الرصاص وجدها بجوار المعول ، ولمسها بطرف أصبعه وقال :

- وهذه الماسورة .. ؟ أهى الأخرى ملك للقتيل ؟

وخيل لى أننى ألمح فى صوته رنة من السخرية ، ولكن جيرو هز كتفيه وقال :

- هذا شئ لا أهمية له ، ولا ريب أنها موجودة مكانها منذ أسابيع .

قال بوارو فى رفق : - أما أنا فأرى أن لها أهمية كبيرة على العكس .

وأدركت أنه انما أراد اثارة حنق المفتش الباريسى وقد أفلح فى ذلك ، فان جيرو تحول عنه فى خشونة ، وهو يقول ان وقته ثمين ، ولا يريد اضاعته فى مثل هذه السفاسف ، ثم راح يستأنف فحصه للمكان فى عناية كبيرة .

وكأنما خطرت لبوارو فكرة طارئة ، فقد اجتاز السياج وحاول أن يفتح باب الحظيرة ولكن جيرو قال له من فوق كتفه .

- انها مغلقة . ولكنها عبارة عن كشك بسيط يضع فيه البستانى أدواته . والمعول لم يأت منها وانما من الكوخ الآخر المجاور للبيت .

تمتم بكس فى رفق : - ان أمر هذا الرجل عجيب . انه لم يقض هنا أكثر من نصف ساعة ، ولكنه استطاع أن يعرف كل شئ . يا له من رجل .. ان جيرو أبرع رجال البوليس فى العالم قاطبة .

وعلى الرغم من أننى لم أشعر بأى ميل نحو المفتش الا أنى لم أملك نفسى من الأعجاب به ، اذ كان يشع منه سلطان عجيب . ولم يسعنى الا أن أقر بينى وبين نفسى ان بوارو لم يبد أية براعة حتى ذلك الوقت ، وقد كدرنى ذلك ، فقد بدا لى أنه يوجه كل اهتمامه الى نقط تافهة لا شأن لها بالقضية . وفى هذه اللحظة قال فجأة :

- قل لى يا مسيو بكس .. ما معنى هذا الخط المرسوم بالطباشير حول المقبرة .. ؟ أهى علامة رسمها البوليس .. ؟

- كلا يا مستر بوارو ، وانما رسمها رجال الجولف اشارة الى أنه سيقام هنا مرتفع أو منخفض رملى من لوازم لعبة الجولف ..

- آه .. وهل كان مستر رينو يلعب الجولف ؟

- نعم . انه كان شديد الولع بهذه اللعبة ، وبفضل مساهمته الكبيرة أمكن المضى فى العمل .

هز بوارو رأسه فى تفكير ثم قال : - ان القاتلين لم يحسنا اختيار المكان لدفن الجثة ، لأن العمال اكتشفوا بمجرد بدئهم للعمل .

صاح جيرو فى لهجة الانتصار : - تماما .. وهذا يدل على انهما من الأجانب الذين لا يعرفون شيئا عن لعبة الجولف وفى هذا وحده أثر غير مباشر .

قال بوارو فى لهجة تفيض بالشك : - نعم . فما كان لأحد على علم بالأعمال الجارية فى الملعب أن يحاول دفن جثة هنا .. ذلك الا اذا كان يريد أن يكتشفها أحد على وجه السرعة . وهذا شئ غير معقول طبعا ، أليس كذلك .. ؟

***

سر مسز دوبريل

غادرنا مسيو بكس معتذرا بأنه لابد له من الانصراف ليبلغ قاضى التحقيق بقدوم جيرو ، ولم يخف هذا الأخير ارتياحه ، عندما قال بوارو أنه فرغ من فحصه ، وكان آخر شئ رأيته ونحن نغادر أرض الجولف ، وهو جيرو وقد جثا على أربع ، وراح يستأنف أبحاثه بعناية لم يسعنى الا الاعجاب بها . وكأنما ضمن بوارو ما يعتمل فى ذهنى لأنه قال لى :

– ها أنت قد اكتشفت المخبر المثالى أخيرا .. كلب الصيد الآدمى ..

قلت فى حدة : – انه يتقصى ويبحث على الأ قل ، وسوف يجد شيئا ، فى حين أنك ..

– ولكننى وجدت شيئا .. ماسورة من الرصاص .

– ولكنك تعرف أنه لا دخل لها بهذه القضية يا بوارو انما عنيت الآثار الصغيرة التى يمكن أن تقودنا الى القاتلين .

– ان أثرا طوله قدمان له نفس الأهمية التى للاثر الذى طوله ملليمتران . ولكن الخيال يطالبنا بأن تكون كل الآثار ضئيلة جدا . انك تؤكد أن هذه الماسورة لا دخل لها بالجريمة كما قال جيرو . وأنا لن أريد شيئا ، ولنترك جيرو لأبحاثه ، ودعنى أحتفظ أنا بأرائى . ان هذه القضية تبدو واضحة يا صديقى .. ولكننى لا أشعر بأى ارتياح مع ذلك ، فهل تعرف لماذا .. ؟ السبب هو هذه الساعة التى تقدم ساعتين . ثم أن هناك نقاطا أخرى كثيرة عجيبة لا يترابط بعضها مع البعض الآخر ، فمثلا لو أن القاتلين أرادا الانتقام ، فقد كان فى مقدورهما قتل رينو وهو راقد ، ثم ينتهى الأمر .

قلت : - كانا يريدان معرفة " السر " .

نفض بوارو ذرة من الغبار من فوق كمه وقال :- وأين هذا " السر " . لاريب أنه موجود قريبا من هنا ما دام قد طلبا منه ارتداء ثيابه ، ومع ذلك فقد عثر عليه مقتولا على بعد خطوات من البيت ، ثم انها لصدفة غريبة أن يجد القاتلان ذلك الخنجر فى متناول أيديهما .

وتحول الى فجأة وقال : - سأثير دهشتك يا صديقى ، وسأعمل بنصيحتك . سوف أفحص آثار الأقدام فوق أحواض الزهور .ان مسيو بكس يقول انها لقدمى البستانى .. ولكن ها هو ذا يأتى بنقالته .

وأقبل البستانى نحونا فى هذه اللحظة ، وحياه بوارو عندئذ ، وسأله قائلا :

- هل تعمل فى هذا القصر منذ مدة طويلة .. ؟

أجاب الرجل : - نعم .. منذ أربعة وعشرين عاما .

- وما اسمك ؟

- أوجست يا سيدى .

وراح بوارو يستجوبه ، وعرف منه أنه هو الذى يرعى أحواض الورد ، وانه زرع فيها زهورا جديدة بالأمس . وبعد أن سأله عن كل ما يريد اذن له بالانصراف ، ثم راح يفحص الآثار التى فوق أحواض الورد . وبعد أن فحصتها بدورى فحصا دقيقا قلت :

- يخيل لى أن كل هذه الآثار لقدم واحدة .

قال بوارو : - هل تظن ذلك .. ؟ هذا رأيى على كل حال ..

وكان يتكلم فى غير مبالاة ، كما لو كان يفكر فى شئ آخر فقلت : لا أخالك ستهتم بهذه الآثار على كل حال .

ولكنه أثار دهشتى حين هز رأسه وقال : بل سأهتم بها طبعا . انى أتتبع الأثر الصحيح أخيرا ، وان كنت لا أزال أتخبط ، ان هذه الآثار هى أهم نقطة فى القضية

كما قلت لمسيو بكس . ان جيرو مسكين .. ولن يدهشنى ألا يهتم بها أبدا .

وفتح الباب العمومى فى هذه اللحظة ، وهبط مسيو هوتيه والقوميسير الدرجات الأمامية . وقال القاضى :

- أهذا أنت يا مسيو بوارو .. ؟ أننا جئنا نبحث عنك بالذات . ان الوقت متأخر ، ولكننى أريد أن أرى مسز دوبريل . ان موت مستر رينو قد أقلقها من غير شك ، وقد تزودنا ببعض المعلومات ، فمن المحتمل أنه باح للمرأة التى يعشقها بالسر الذى لم يطلع زوجته عليه ، فان الرجال ضعاف دائما أمام الحب .

وسأله بوارو : - ألن يأتى مسيو جيرو معنا ؟

قال مسيو هوتيه فى حدة : - لقد قال لنا مسيو جيرو أنه سيقوم بالتحقيق بالطريقة التى تحلو له .

كان من الواضح أن مسيو هوتيه يشعر باستياء كبير ازاء الطريقة التى عامله بها جيرو . ولم ينطق أحد بكلمة . وسار بوارو مع القاضى فى المقدمة ، بينما مشيت أنا مع القوميسير ، وقال لى هذا الأخير :

- لا شك أن القصة التى ذكرتها لنا فرانسواز مطابقة للحقيقة . وقد اتصلت تليفونيا بالمكتب الرئيسى ويبدو أن مسز دوبريل قد وضعت فى حسابها بالبنك مبالغ كبيرة ثلاث مرات منذ قدوم مستر رينو الى مرلنفيل والمبلغ الاجمالى يبلغ نحو مائتى ألف فرنك ، ومن المؤكد أنه كان مشغوفا بها ، ولكن هل اطلعها على سره .. ؟ ان قاضى التحقيق يأمل ذلك ، وان كنت فى شك منه .

وهبطنا الطريق أثناء هذا الحديث ، وبلغنا المنعطف الذى توقفت فيه سيارة الأجرة بعد الأصيل . وما هى الا لحظة حتى أدركت أن فيللا مرجريت التى تقيم فيها مسز دوبريل الغامضة هى البيت الصغير الذى خرجت منه الفتاة التى استأثرت باهتمامى .

وعاد القوميسير يقول بعد صمت قصير : - انها تعيش هنا منذ بضع سنوات فى

هدوء ، دون أن يحس بها أحد تقريبا . ويبدو أنه ليس لها أصدقاء غير الذين تصادقت معهم فى مرلنفيل ، وهى لا تشير أبدا الى الماضى ولا الى زوجها ، ولا يعرف أحد هل مات أم لا يزال على قيد الحياة .. الغموض يحيط بها تماما .

هززت رأسى وقلت وقد ازداد اهتمامى :

- والفتاة ؟

- انها فتاة ظريفة حقا ومتواضعة ومهذبة ... ولكن القوم يرثون لها حقا ، لأنها وان كانت لا تعرف شيئا عن الماضى ، الا ان الذى سيتقدم للزواج منها لابد ان يستعلم عنها .

صحت أقول محنقا :

- ولكن الذنب ليس ذنبها .

- كلا . ولكن ماذا تريد . ان المرء لا يتساءل طبعا فيما يتعلق بسوابق زوجة .

وكنا قد بلغنا باب البيت ، وطرقه مسيو هوتيه . ومرت بنا لحظات سمعنا فيها خطوات بالداخل ، ولم يلبث ان فتح الباب ، وظهرت فتاة الأمس على عتبته .

وعندما رأتنا امتقع لونها امتقاعا شديدا ، واتسعت عيناها رعبا ... ولم يكن هناك شك فى أنها كانت خائفة .

وقال مسيو هوتيه وهو يخلع قبعته :

آنسة دوبريل ... اننا نأسف جدا لأزعاجك ، ولكن للقانون مقتضياته . أرجو أن تقدمى تحياتنا لوالدتك ، وان تسأليها ان تتكرم وتمنحنا بضع دقائق .

بقيت الفتاة لحظة وقد ألقت بيدها اليسرى على صدرها لكى تهدئ من اضطرابه . ولكنها لم تلبث أن تمالكت ، واختفت فى غرفة على اليسار . وبعد لحظات سمعنا صوتا أشبه بصوتها يقول :

- ولكن طبعا . دعيهم يدخلوا .

وفى اللحظة التالية ، وجدنا أنفسنا أمام مسز دوبريل الغامضة . كانت أقصر من ابنتها بقليل ، وفى أبهى جمال النضوج ، ذات شعر أسمر وعينين زرقاوين وغمازة جميلة تحت ذقنها . ترتسم على شفتيها ابتسامة غامضة ، فيها شئ أنثوى يتسم فى نفس الوقت بالاستكانة والفتنة . لم تكن فى مقتبل العمر ، ولكنها كانت تبدو مع ذلك غضة لا سلطان للسن عليها .

كانت ترتدى ثوبا أسود بياقة بيضاء ، وتشبك يديها فى قلق وارتباك كبيرين . وقالت تسأل مسيو هرتيه :

– هل تريد مقابلتى يا سيدى .

– نعم . لاشك انك سمعت عن مقتل مستر رينو ؟ ... وقد أتينا لكى نسألك اذا كان فى مقدورك القاء بعض الأضواء عليه .

– أنا ؟

– نعم يا سيدتى . لعل من الأفضل أن نتحدث معك على انفراد .

وألقى القاضى الى الفتاة نظرة ذات مغزى ، فتحولت مسز دوبريل اليها قائلة :

– مارت ... هل لك ؟ .

ولكن الفتاة هزت رأسها وقاطعتها قائلة :

– كلا .. كلا يا أماه .. اننى لن أخرج . اننى لست طفلة . اننى فى الثانية والعشرين من عمرى ولن أخرج .

نظرت مسز دوبريل الى قاضى التحقيق ولكن هذا الأخير عاد يقول :

– اننى أفضل ألا أتكلم أمام الآنسة دوبريل .

– ولكن ابنتى تقول انها ليست طفلة .

تردد قاضى التحقيق لحظة ثم قال أخيرا :

– حسن جدا يا سيدتى . كما تشائين . لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد

بأنك اعتدت زيارة القتيل أثناء الليل ، فهل هذا صحيح ؟

اضطرمت وجنتا المرأة الشابة شيئا ما ، ولكنها أجابت في هدوء :

- بأي حق تلقى على هذا السؤال يا سيدى ؟

- اننا نقوم بالتحقيق في جريمة قتل يا سيدتى .

- وفيم يهمنى هذا ؟ ... ليس لى أى دخل فى هذه الجريمة .

- اننا لا نوعز بأى شئ من هذا يا سيدتى . ولكنك كنت تعرفين مستر رينو جيدا فهل قال لك ان هناك أى خطر يتهدده ؟

- أبدا .

- ألم يحدثك عن حياته فى سنتياجو أو عن أى اعداء له هناك .

- كلا .

- أنت لا تستطيعين أن تساعدينا فى أى شئ اذن ؟

- لا أظن ذلك . ولا أدرى لماذا أتيتم الى . الا تستطيع زوجته أن تخبركم بما تريدون ؟

وكان فى صوتها مسحة من التهكم . وقال القاضى :

- ان مسز رينو ذكرت لنا كل ما تعرفه .

- آه ! . اننى أتساءل ...

- ماذا يا سيدتى ؟

- لا شئ .

- نظر قاضى التحقيق اليها ، وقد أدرك أنه أمام غريم لا يستهان به وقال :

- هل تصرين على أن مستر رينو لم يقل لك شيئا .

- ولماذا تظن أنه أخبرنى بأى شئ ؟

أجاب مسيو هوتيه فى قسوة :

- لأن الرجل يفضى عادة لعشيقته بما لا يفضى به لزوجته .

هبت مسز دوبريل واقفة ، والشرر يتطاير منها وقالت :

- هذه اهانة يا سيدى . وأمام ابنتى . لن أقول لك شيئا . أرجو ان تغادر بيتى حالا .

لم يسعنا الا أن نغادر البيت . وراح القاضى هوتيه يرمى نفسه باللوم . وبدا بوارو غارقا فى أفكاره . ولم يلبث أن استيقظ من أحلامه فجأة ، وسأل مسيو هوتيه عن فندق مناسب يستطيع قضاء الليل فيه ، فقال القاضى :

- هناك فندق الحمامات ويقع على بعد بضعة أمتار ، وهو أفضل مكان لمتابعة تحرياتك . أظن اننا سنراك غدا .

- طبعا .

وأستأذننا فى الانصراف ، ومضينا فى طريقنا الى الفندق ، فى حين مضى القاضى والقوميسير الى فيللا جنفييف . وقال بوارو ونحن فى الطريق :

- ان البوليس الفرنسى منظم بطريقة رائعة ، ويعرف أدق الأمور عن كل امرئ . فعلى الرغم من ان مستر رينو لم يأت للاقامة هنا الا منذ ستة أسابيع ، الا ان البوليس يعرف عنه كل صغيرة وكبيرة ، ويعرف كم يبلغ حساب مسز دوبريل فى البنك ، والمبالغ التى أودعتها أخيرا . ولكن ما هذا ؟

وتحول فجأة . واذا بفتاة تجرى نحونا مسرعة ... كانت مارت دوبريل .

وصاحت مبهورة الأنفاس تخاطب بوارو :

- معذرة . أعلم انه ما كان يجب ان اتصرف هكذا . ولكن أرجو ألا تخبر أمى بأى شئ .. هل صحيح انك مخبر سرى ، وان مستر رينو هو الذى استدعاك ؟

قال بوارو فى رفق : - نعم يا آنسة . هذا صحيح . ولكن كيف عرفت ذلك ؟

أجابت مارت وقد اضطرم وجهها :

- قالت فرانسواز ذلك لخادمتنا اميلى . ولكن هل يشتبه البوليس فى أحد ؟

- ولماذا تسألين يا آنسة ؟

بدا كأن هذا السؤال قد أخاف الفتاة . وتذكرت وصفه لها فى بداية الأمر فقد قال لى أنها ذات عينين قلقتين .

وقالت أخيرا :

- لقد كان مستر رينو كريما دائما معى .

قال بوارو :

- آه ، حسنا يا آنسة . ان الشكوك تتجه الآن الى شخصين .

- شخصان ؟

وانى لعلى استعداد لأن أقسم أن صوتها كان ينم عن الدهشة . وقال بوارو :

- اننا لا نعرف من هما بعد . ولكننا نعتقد أنهما من أهالى سنتياجو . وها أنت ترين تأثير الجمال فى نفسى فقد كشفت لك معلومات رسمية .

راحت الفتاة تضحك فى مرح ، وشكرته فى شئ من الحياء ، وقالت :

- يجب أن أعود قبل أن تبحث أمى عنى .

واستدارت ، وأسرعت تجرى ، وأنا انظر اليها وقال بوارو متهكما فى رفق :

- هل سنبقى واقفين هنا طوال الليل يا صديقى لا لشئ الا لأن فتاة جميلة خلبت لبك ؟

ضحكت وقلت معتذرا :

ولكنها جميلة حقا يا بوارو . ولى العذر اذا فقدت رأسى .

تنهد بوارو وقال :

- يا الهى ... ان لك قلبا شديد الحساسية . ولكن لا تشغل بالك بآرت دوبريل يا صديقى فهى ليست لك .

صحت :

- ولكن القوميسير يقول انها جميلة ومهذبة وانها ملاك حقا .

قال بوارو فى هدوء :

- ان بعض المجرمين الذين عرفتهم كانت لهم وجوه ملائكة .

- ولكن لا أخالك تشك فى فتاة بريئة مثلها يا بوارو ؟

- أننى لم أقل أننى أشك فيها يا صديقى ، ولكن رغبتها فى معرفة سير القضية أمر يثير الدهشة حقا .

- اننى أرى أبعد منك فى هذه النقطة . انها ليست قلقة على نفسها ، وانما على أمها .

قال بوارو :- انك لا تفهم شيئا كعهدى بك يا صديقى . ان مسز دوبريل تعرف كيف تدافع عن نفسها ، وليس لابنتها ان تقلق عليها . وأعترف اننى أردت أغاظتك ، ولكننى مازلت أنصحك بالابتعاد عن هذه الفتاة انها ليست لك . لا أدرى أين رأيت هذا الوجه قبل اليوم .

قلت مشدوها :- أى وجه ؟ .. وجه الأبنة .

- كلا . وانما وجه الأم .

واذ رأى دهشتى هز رأسه فى حدة وقال :

- نعم . ان الأمر كما أقول لك ، ان ذلك يرجع الى الوقت الذى كنت أعمل فيه فى البوليس البلجيكى ربما لم أر هذه المرأة بشخصها ، ولكن لا شك أن صورتها وقعت تحت بصرى أثناء التحقيق فى احدى القضايا ... بل اننى أظن ..

- ماذا ؟

- ربما أكون مخطئا ، ولكننى أظن ان الأمر كان يتعلق عندئذ بجريمة قتل .

* * *

لقاء غير متوقع

ذهبنا الى الفيللا فى صباح اليوم التالى مبكرين . وفى هذه المرة حيانا الشرطى الذى يقوم بالحراسة فى احترام ، ومضينا الى البيت . وكانت الخادمة ليونى تهبط الدرج فسألها بوارو عن أنباء مسز رينو ، فهزت رأسها وقالت :

– انها شديدة الحزن يا سيدى .. لا تريد أن تأكل أى شئ . وهى شاحبة شحوب الموتى ، وان قلبى ليتقطع وأنا أراها هكذا ، ولو اننى كنت مكانها لما شعرت بأى حزن على رجل كان يخدعنى مع امرأة أخرى .

هز بوارو رأسه موافقا وقال :

– انت على حق يا آنسة . ولكن ماذا تريدين ، أن قلب المرأة العاشقة يغفر كل شئ . ولكن لاريب أنهما كانا يتشاجران كثيرا خلال الشهور الأخيرة ؟

ولكن ليونى هزت رأسها مرة أخرى وقالت :

– أبدا يا سيدى . لم أسمع كلمة احتجاج واحدة ولا كلمة عتاب . كان لها طبع ملاك بخلاف السيد .

– لم يكن لمستر رينو طبع ملاك اذن ؟

– آه ، كلا يا سيدى . عندما كان يغضب كان البيت كله يعرف ذلك . وعندما تشاجر مع مستر جاك استطاع كل من فى السوق سماعهما ، فقد كان صوت كل منهما شديد الارتفاع .

قال بوارو :

– حقا ... ومتى حدث ذلك ؟

- أوه ، قبيل رحيل مستر جاك الى باريس . لقد كاد القطار ينطلق من دونه . وقد خرج من غرفة المكتبة ، وأخذ حقيبته من البهو ، وكانت السيارة فى الاصلاح كالعادة ، فأسرع الى المحطة وهو يعدو . وكان وجهه أبيض وعيناه تقدحان شررا . آه.. أنه كان فى شدة الغضب .

- ولماذا تشاجرا ؟

أجابت ليونى :

- لا أدرى . كانا يصرخان فى صوت مرتفع وفى عنف ، بحيث لم يكن فى وسع أحد أن يفهمهما ، لم يكن يجيد الانجليزية ، وقد ظل السيد متجهم الوجه طوال اليوم ، وكان من الصعب أرضاؤه .

وهمت الخادمة بالأنصراف ، ولكن بوارو استوقفها قائلا :

- لحظة واحدة يا آنسة . أين قاضى التحقيق ؟

- انه ذهب مع القوميسير الى الجاراج لكى يفحصا السيارة ، ويريا ان كان قد استخدمها أحد الليلة .

تمتم بوارو يقول :

- ما أعجب هذا ؟

وقلت بعد أن أنصرفت الفتاة :

- هل ستنضم اليهما ؟

- كلا . سأنتظر عودتهما فى غرفة الصالون .

لم يرق لى ذلك وقلت :

- سأذهب اذن ، وأرى ماذا يصنع جيرو .

قال بوارو وهو يجلس فى مقعد مريح ويطبق عينيه :

- كما تشاء يا صديقى . الى الملتقى .

وخرجت وفى نيتى أن أفحص مسرح الجريمة . وبلغت أرض الجولف . وأنا غارق فى أفكارى ، بحيث اصطدمت فجأة بفتاة تولينى ظهرها . وأطلق كل منا صيحة دهشة فى نفس الوقت ، لأنها لم تكن غير فتاة القطار التى قالت سندريلا .

واستردت الفتاة جأشها أسرع منى وقالت :

- آه ... ماذا تفعل هنا ؟

أجبت :

- فى مقدورى ان ألقى عليك نفس السؤال .

- عندما رأيتك لآخر مرة أول أمس كنت عائدا الى انجلترا ، فكيف أراك هنا ؟

تجاهلت عبارتها الأخيرة وقلت :

- عندما رأيتك لآخر مرة كنت عائدة أنت وأختك ..وبهذه المناسبة . كيف حالها ؟

تألق وجهها بابتسامة ساحرة وقالت :

- أشكرك لسؤالك عنها . انها على ما يرام .

- أهى معك هنا ؟

- كلا . أنها بقيت فى المدينة .

قلت ضاحكا :

- لا أصدق أن لك أختا . واذا كان لك أخت ، فلا ريب انها تدعى هاريس .

سألتنى مبتسمة :

- هل تتذكر أسمى ؟.

- سندريللا . ولكنك ستذكرين لى أسمك الحقيقى اليوم ، أليس كذلك ؟

هزت رأسها فعدت أقول :

وستذكرين لى لماذا أنت هنا ؟

- أوه لعلك تعرف أن أعضاء مهنتى يستريحون ويستجمون فى بعض الأحيان .

– فى محطات الحمامات الفرنسية الغالية ؟

– ان من يعرف كيف يدبر أمره يستطيع أن يعيش فيها بلا شئ . ولكن دعك من هذا الفضول ، وقل لى ماذا تفعل أنت هنا ؟ انك قلت لى انك تعمل سكرتيرا لأحد النواب فهل أعفاك من العمل ؟

هززت رأسى وقلت :

– كلا . ولكن لاشك انك تذكرين اننى قلت مرة ان لى صديقا يشتغل مخبرا سريا . ولعلك سمعت بالجريمة التى ارتكبت فى فيللا جنفييف .

اتسعت عيناها وقالت :

– لعلك لا تعنى ... انك مهتم بهذه القضية ؟

أومأت لها بالايجاب ، ولم يكن هناك أى شك فى اننى أثرت اهتمامها ، لأنها نظرت الى فى انفعال واضح ، ولزمت الصمت لحظة ، وهى تحدق فى ، ثم هزت رأسها فى حدة وقالت :

– آه . ما أروع هذا ! ... هلا أريتنى مسرح الجريمة ؟ الم أقل لك اننى أهوى الجرائم ؟ ... اننى جازفت واجتزت هذه الأدغال والأحراش بحذائى ذى الكعب العالى لهذا الغرض بالذات . اننى سعيدة الحظ حقا اذ التقيت بك ... هيا ، ارنى كل ما يجب رؤيته .

– ولكننى لا أستطيع . ان الأوامر مشددة ، ولا يستطيع أحد الدخول .

ولكن ألست أنت وصديقك من كبار الشخصيات ؟

ولم أشأ أن أقلل من أهميتى فقلت فى ضعف :

– ولماذا كل هذا الاهتمام ؟

وما الذى تريدين رؤيته ؟

– أوه ، كل شئ ... مسرح الجريمة .. والسلاح ... والجثة ... وبصمات الأصابع .

ان مثل هذه الفرصة لم تعرض لى من قبل ، وهى تجربة لن أنساها ما حييت . ثم أنهم أبعدوا رجال الصحافة ، وفى مقدورى أن أبيع قصتى لأحدى الصحف بمبلغ لا بأس به . أنهم يدفعون مبالغ خيالية فى سبيل الحصول على مثل هذه الأنباء .

واذ رأت ما يعترينى من تردد ، القت يدا غضه فوق يدى قائلة :

- أرجوك .. كن ظريفا .

ولم يسعنى الا النزول عند رغبتها ، فمضينا أولا نحو المكان الذى أكتشفت فيه الجثة ... وكان هناك شرطى يقوم بالحراسة ، وكان قد سبق أن رآنى ، ولهذا حيانى فى احترام ، ولم يبد أية اشارة بخصوص رفيقتى . وقلت لسندريللا أين اكتشفت الجثة بالتدقيق ، وأصغت الى فى اهتمام ، وألقت على سؤالا أو سؤالين ثم مشينا نحو الفيللا ، وكنت أمشى فى حذر ، لأننى والحق يقال لم أشأ أن يلتقى بنا أى أحد ، ومضيت بالفتاة خلف البيت حيث يوجد الكوخ الصغير . وكان مسيو بكس قد ترك مفتاحه مع الرقيب مارشان اذا ما حدث واحتاج جيرو اليه . ولما سألته ان كان فى مقدوره ان يعطينى المفتاح أسرع يقول :

- طبعا يا سيدى . ان مسيو هوتيه أصدر أوامره بأن أسهل لكما كل شئ . ولكننى أرجو أن تعيده الى بعد أن تفرغ منه .

وأحسست بشئ من الارتياح وأنا أرى مارشان يضعنى فى نفس المرتبة من حيث الأهمية ، مع بوارو . وكانت سندريللا تنتظرنى ، فأطلقت صيحة دهشة وهى ترى المفتاح وقالت :

- انت ظريف جدا . لن أنسى لك هذا أبدا . ولكن تعال . انهم لا يستطيعون رؤيتنا من البيت طبعا ؟

- انتظرى لحظة . اننى لن أمنعك من الدخول ، اذا كنت تريدين ذلك حقا . ولكن هل أنت واثقة انك تريدين ؟ .. انك رأيت القبر والحديقة ، وتعرفين الآن كل نقاط

القضية . أفلا يكفيك هذا ؟ ... ان الأمر سيكون بغيضا وكريها .

ونظرت الى لحظة نظرة غريبة لم أستطع أن أفهمها تماما ، ثم ضحكت قائلة :

– أننى لا أخاف الأهوال . هلم بنا ، تعال .

وبلغنا باب الكوخ فى صمت ففتحته ودخلنا . ومضيت الى الجثة ورفعت عنها الملاءة فى رفق ، كما فعل بكس بالأمس . وأفلتت من بين شفتى الفتاة صرخة خافته ، فتحولت لكى أراها . كان الرعب مرتسما على وجهها بكل وضوح . لم تشأ أن تصغى الى ، وها هى الآن تلقى جزاءها . واردت أن أكون قاسيا معها الى أقصى حد فقلبت الجثة وأنا أقول :

– انه أصيب بطعنة من الخلف .

وقالت تسأل فى صوت يكاد لا يسمع :

– وبماذا ؟

أومأت برأسى الى الاناء الزجاجى وقلت :

– بهذا الخنجر .

وفجأة ترنحت الفتاة ووقعت على الأرض فأسرعت اليها وأنا أقول :

– فلنخرج ... لقد كانت التجربة شاقة عليك .

ولكنها تمتمت تقول فى صوت خافت جدا :

– الى ببعض الماء ... حالا .

تركتها وأسرعت الى الفيللا . ولحسن الحظ لم التق بأحد من الخدم ، واستطعت الحصول على قدح صببت فيه بعض قطرات من الويسكى ، وعدت اليها بعد لحظات قلائل ، وكانت لا تزال طريحة مكانها فى نفس الوضع الذى تركتها عليه . ولكن الويسكى أحدث مفعوله ، ورد اليها حواسها ، وصاحت تقول وهى ترتجف :

– أوه .. خذنى بعيدا من هنا .. حالا .

وساعدتها على الخروج . وأغلقت الباب خلفنا . وأخذت الفتاة نفسا طويلا ثم قالت :

- سأكون على ما يرام . أوه ، كان أمرا فظيعا . لماذا تركتنى أدخل ؟

ولم يسعنى الا أن ابتسم . وقلت فى رفق :

- لا تنسى اننى بذلت جهدى لكى أمنعك من الدخول ؟

- هذا صحيح . حسنا . الى الملتقى .

- ولكن لا يمكن أن تنصرفى هكذا وحدك . انك مازلت ضعيفة وأرى أن أرافقك حتى .

- ما هذا الهذر ... اننى على ما يرام الآن . أرجو ألا تتعرض لأية متاعب لأنك تركتنى أرى كل شئ . الى الملتقى .

- لحظة واحدة . انك لم تذكرى لى عنوانك .

- أوه ، اننى أقيم فى فندق الفنار ... وهو فندق صغير ولكن لا بأس به ... تعال لزيارتى غدا .

أسرعت أقول : - بكل سرور .

وتابعتها بعينى حتى اختفت ، ثم استدرت وعدت الى الفيللا . وتذكرت فجأة اننى لم أغلق باب الكوخ بالمفتاح . ولكن لم يكن أحد قد فطن الى هذا الاهمال لحسن الحظ فأدرت المفتاح فى القفل . ثم أخرجته ، واعدته الى الرقيب . وتذكرت عندئذ أن سندريللا أعطتنى عنوانها واننى لا أعرف أسمها .

***

مسيو جيرو

كان قاضى التحقيق يستجوب أوجست البستانى فى غرفة الصالون ، واستقبلنى كل من بوارو والقوميسير بابتسامة وايماءة من رأسه . وجلست فى هدوء ، وكان مسيو هوتيه دقيقا جدا ولكنه لم يفلح فى اكتشاف أى أثر ما .

واعترف أوجست أن القفاز له ، وانه يلبسه عندما يعالج بعض النباتات السامة ، ولكنه لم يستطع أن يذكر متى لبسه لآخر مرة . أما المعول فكان موجودا فى الكشك الصغير الذى يودع فيه أدواته ، وباب الكشك مغلق طبعا ، ولكن المفتاح يظل فى الثقب ، فلم تكن هناك حاجة الى غلقه بالمفتاح ، لأن الكشك لا يضم شيئا ذا قيمة .

واذن القاضى للبستانى بالانصراف ، ثم تحول الينا وقال :

– حسنا . أننا لم نتقدم خطوة واحدة ، ولن نستطيع أن نفعل شيئا حتى يأتينا الرد على برقيتنا من سنتياجو ... هل رأى أحدكم جيرو ؟ ... الواقع ان هذا الرجل يفتقر الى الادب وارى أنه لابد لى من أن أبعث أحدا لكى يأتى به .

– ليس هناك داع لذلك .

وأدهشنا الصوت الهادئ ، وكان جيرو يقف فى الخارج ينظر الينا عبر النافذة المفتوحة ، ووثب الى الغرفة فى خفة وتقدم قائلا :

– اننى تحت أمرك ، وأرجو أن تقبل عذرى لاننى لم آت قبل الآن . اننى لست الا مخبرا ، ولا أفهم شيئا فى الاستجوابات ، ولكننى اذا استجوبت أحدا فسوف أحرص قبل ذلك على أن أغلق النافذة ، فان من اليسير على كل شخص بالخارج أن يسمع ما يدور فى هذه الغرفة .

أحمر وجه مسيو هوتيه لفرط الغضب ... كان واضحا انه لم يكن هناك أى ود بينه وبين المفتش المكلف بنظر القضية . ولكن لعل الأمر كان كذلك فى كل الحالات ، لأن جيرو كان يعتبر جميع القضاة أغبياء ، ثم ان عجرفة المفتش وعدم مراعاته كانا سببا فى غضب مسيو هوتيه الذى كان ينظر الى عمله بعين الاهتمام .

وقال فى شئ من المرارة :

- لاريب أنك عرفت كيف تستفيد من وقتك ، ولا ريب انك ستخبرنا الآن باسم القاتلين ، واين يختبئان .

أجاب مسيو جيرو فى هدوء دون أن يحفل بسخرية القاضى :

- انني أعرف على الأقل من أين جاءا .

وأخرج من جيبه شيئين صغيرين القاهما فوق المنضدة ، فاقتربنا فى فضول ، ورأينا عقب سيجارة وعود ثقاب لم يستعمل بعد .

وتحول المفتش الينا وقال فى غلظة اضطرم لها وجهى :

- ماذا ترون فى هذين الأثرين ؟

هز بوارو كتفيه فى جمود وقال :

- لا أرى فيها أكثر من عقب سيجارة وعود ثقاب .

- وماذا تستخلص منهما ؟

أجاب بوارو :

- لا شئ .

قال جيرو فى ارتياح :

- انك لم تنعم بدراسة هذه الأشياء . ليس هذا عود ثقاب عادى . انك لن تجد له مثيلا فى هذه البلاد على الأقل . ولحسن الحظ انه لم يستعمل بعد ، ولولا ذلك لما عرفت عليه . ومما لاشك فيه أن أحد القاتلين ألقى بعقب سيجارته ، وأشعل سيجارة

أخرى ووقع منه أثناء ذلك عود ثقاب دون أن يفطن اليه .

سأله بوارو : - والعود الآخر ؟

- أي عود ؟

- العود الذى استعمله فى اشعال السيجارة ..؟ هل وجدته هو الآخر .. ؟

- كلا ..

- لعلك لم تبحث عنه بما يكفى من الدقة .

- لم أبحث عنه ؟

وخيل لى لمجرد لحظة أنه سينفجر ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه بجهد كبير وقال :

- أرى أنك تميل الى الهزل يا مستر بوارو . ولكن دعنا من عود الثقاب . يكفينا عقب السيجارة ، فهى أثر كاف . أنها سيجارة من أمريكا الجنوبية ، بها فلتر مصنوع من عجينة عرق السوس .

قال القوميسير عندئذ : - من المحتمل أن يكون مستر رينو هو الذى استعمل عود الثقاب والسيجارة ، ولا تنس أنه عاد من أمريكا الجنوبية منذ عامين .

أجابه الآخر فى توكيد : - كلا .. أنى فحصت أشياء مستر رينو الخاصة ، أنه يدخن نوعا آخر من السجائر غير هذا النوع .

وهنا قال بوارو : - الا تجد غريبا أن يأتى هذان الرجلان بدون سلاح أو قفاز أو معول ، ثم يجد كل هذه الأشياء بسهولة ؟

ابتسم جيرو ابتسامة متعالية وقال :

- هذا غريب فى الواقع ، ولا تفسير له الا بالنظرية التى أتمسك بها .

قال مسيو هوتيه : - آه .. هل تعنى أن لهما شريكا بالمنزل ؟

قال جيرو وهو يبتسم ابتسامة غريبة : - أو خارجه .

- ولكن لابد أن هناك من ساعدهما على الدخول ، فلا يمكن أن نفترض أنهما تمكنا

من الدخول بفضل فرصة غير متوقعة .

- ربما وجدا الباب مفتوحا ، وربما فتحه لهما شخص من الخارج معه مفتاح الباب .

- ترى من يكون ؟

هز جيرو كتفيه وقال : - مستر رينو الابن مثلا . صحيح أنه فى طريقه الى أمريكا الجنوبية ولكن يحتمل أن يكون المفتاح قد ضاع منه أو سرق . ثم هناك البستانى . أو لعل خادمة أرادت أن ترى عشيقها . ثم ان من السهل صنع مفتاح للباب . ان الاحتمالات كثيرة . وهناك كما تعرف شخص آخر لاريب ان معه مفتاحا ، وأعنى به مسز دوبريل .

قال قاضى التحقيق : - آه .. هل عرفت بقصتها هى الأخرى ؟

أجاب جيرو فى هدوء : - أنى أعرف كل شئ .

- ومع ذلك فأننى واثق أن هناك شيئا لا تعرفه .

ثم روى له قصة الزائرة الغامضة والشيك الممزق المحرر باسم دوفين ، وبسط له أخيرا الرسالة الموقعة باسم بيللا فقال :

- كل هذا لا بأس به ، ولكنه لا يغير شيئا من نظريتى .

- وما هى هذه النظرية ؟

اننى أوثر ألا أقول شيئا فى الوقت الحالى ، ولا تنس أنى بدأت تحرياتى منذ قليل

قال بوارو فجأة : - قل لى يا مستر جيرو . ان نظريتك تقوم على أساس أن الباب كان مفـ حا . وعندما غادر القاتلان البيت ألم يكن من الطبيعى أن يغلقا الباب خلفهما .

- آه .. لا ريب أنهما نسيا ذلك .. واعترف أن هذه غلطة منهما .

قال بوارو : - أننى لا أشاطرك هذا الرأى . من رأيى أنهما تركا الباب مفتوحا أما عمدا ، وأما لداع معين بالذات ، وأية نظرية أخرى لا قيمة لها . ثم أن هناك شيئا آخر . ألا تذكرك هذه الجريمة بجريمة أخرى ؟

- لا أستطيع أن أرد عليك بدون تفكير .. ولكنني لا أرى ..

قال بوارو في هدوء : - أنك تخطئ . سبق أن ارتكبت جريمة مماثلة .

- أين ومتى ؟

- لا أذكر ذلك في الوقت الحاضر لسوء الحظ .. ولكنني سوف أتذكر .. ظننت أنك قد تساعدني على ذلك ..

- هناك جرائم قتل كثيرة ارتكبها رجال مقنعون ولا أستطيع أن أتذكرها كلها .

قال بوارو في لهجة من يلقي محاضرة : - ولكن السمة الشخصية شئ عجيب ، ومسيو جيرو يعلم تماما أن لكل مجرم طريقته الخاصة ، وأن رجال البوليس عندما يحققون في جريمة سرقة يمكنهم معرفة الجاني بفضل الطريقة التي استخدمها . وعندما تتشابه جريمتا قتل من حيث الخطة والتنفيذ ، فذلك يدل على أن عقلا واحدا هو الذي خطط لهما ودبر . وأنا أبحث عن هذا العقل يا مسيو جيرو وسوف أجده . اننا هنا ازاء أثر نفساني ، وقد تكون أنت قديرا جدا في ناحية أعقاب السجائر وعيدان الكبريت ، أما أنا فأنني أفهم قلب الانسان .

بدا الانفعال على وجه جيرو ، في حين استطرد بوارو يقول : - وأحب أن ألفت نظرك الى شئ لم تعلم به ، وهو أن الساعة اليدوية لمسز رينو قدمت ساعتين صباح يوم الجريمة . ثم هناك آثار الأقدام الموجودة فوق أحواض الزهور .

وأومأ برأسه نحو النافذة المفتوحة ، فمضى جيرو اليها في خطوتين كبيرتين ، ونظر الى الخارج ، ثم قال :

- ولكنني لا أرى أية آثار .

قال بوارو وهو يعدل عددا من الكتب فوق المكتب : - كلا .. ليست هناك آثار .

اكفهر وجه جيرو لحظة لفرط الغضب . وفتح الباب في هدوء هذه اللحظة وقال مارشان :

- أقبل مستر ستونور ، سكرتير مستر رينو ، من لندن ، فهل أدعه يدخل ؟

جابرييل ستونور

كان الرجل الذى دخل فريدا فى نوعه . فقد كان طويل القامة رشيق الجسم ورياضيا ، هيمن علينا جميعا بشخصيته ، وحتى جيرو نفسه بدا بجواره ضئيلا . وقد اتضح لنا فيما بعد أنه شخصية عجيبة . فقد كان انجليزى الجنسية ، طاف العالم كله واصطاد الوحوش فى أفريقيا ، وسافر الى كوريا ، والتحق بأعمال كثيرة .

وعندما التقت عيناه بعينى مسيو هوتيه قال له : - هل أنت قاضى التحقيق المكلف بالقضية ؟ يسرنى أننى التقيت بك ياسيدى . يالها من قصة فظيعة .. ومسز رينو كيف حالها . ؟ لاريب أن الصدمة كانت عنيفة لها .

قال مسيو هوتيه : - هو ذلك اسمح لى أن أقدم لك مسيو بكس ، قوميسير البوليس ومسيو جيرو من ادارة الأمن وهذا هو مستر هركيول بوارو ، كان مستر رينو قد استدعاه ولكنه جاء بعد فوات الأوان ، والكابتن هاستنجز ، صديق مستر بوارو .

نظر ستونور الى بوارو فى شئ من الاهتمام وقال - هل استدعاك .. ؟

سأله مستر بكس - ألم تكن تعرف أنه لجأ الى مخبر سرى .. ؟

- كلا .. ولكن ذلك لا يثير دهشتى على كل حال ، فقد كان يبدو قلقا ، ولكنه لم يفض الى بشئ .

- أرجو أن تلتمس لى العذر يا مستر ستونور ، ولكن يجب أن نبدأ ببعض الاجراءات أولا ما اسمك ؟

- جابرييل ستونور

- منذ متى وأنت تعمل سكرتيرا لمستر رينو ؟

- منذ نحو سنتين . منذ أن أقبل من أمريكا الجنوبية .

- هل حدثك عن حياته هناك ؟

- نعم .. كثيرا .

- هل تعلم اذا كان قد ذهب الى سنتياجو ؟

- نعم .. ذهب اليها أكثر من مرة .

- ألم يحدثك عن شئ خاص حدث له هناك وآثار حقد البعض عليه ؟

- كلا ...

- ألم يطلعك على سر عرفه أثناء زيارته لهذه المدينة ؟

- كلا . ولكن هناك سر يحيط بحياته على كل حال . أنه لم يحدثنى أبدا عن شبابه ، ولا عن الفترة التى سبقت ذهابه الى أمريكا الجنوبية . كان من أهالى كندا الفرنسيين بحكم مولده ، ولكننى لم أسمعه يتحدث أبدا عن حياته فى كندا .

- هل تعرف شيئا عن شخص يدعى دوفين ؟

- قال ستونور فى تفكير : - دوفين .. دوفين لا أظن ذلك . هل تعرف صديقة لمسز رينو اسمها بيللا ؟

أتى مستر ستونور للمرة الثانية باشارة تدل على النفى وقال : - بيللا دوفين هل هذا هو اسمها بالكامل ؟ عجيب .. ! اننى واثق أنى سمعت بهذا الاسم .. ولكننى لا أتذكر شيئا الآن .

- لعلك تفهم أننا فى موقف شديد الحرج لا يتطلب أى تحفظ يا مستر سترنور . واذا كنت تريد أن تجنب مسز رينو بعض الأشجان مراعاة لها ، فأرجو أن تفكر فى العدالة ، وأن تتخلى عن كل تحفظ .

نظر مستر ستونور الى قاضى التحقيق فى دهشة وقال :

- اننى لا أفهمك يا سيدى . ما دخل مسز رينو بكل هذا .. ؟ أننى أكن لها كل

الاحترام ، فهى امرأة فوق العادة ، ولا أدرى كيف يمكن أن يسئ تحفظى اليها .

- حتى اذا قلت لك أن المدعوة بيللا دوفين كانت أكثر من صديقة لمستر رينو .

صاح ستونور : - آه .. أننى أفهمك الآن . ولكننى أراهنك بكل ما معى أنك مخطئ . لم يكن مستر رينو يهتم بأية امرأة ، فقد كان يعبد زوجته . انهما كانا أسعد زوجين فى العالم .

هز مسيو هوتيه رأسه فى رفق وقال : - ان لدينا الدليل الحاسم على ذلك يا مستر ستونور . لدينا رسالة كتبتها بيللا لمستر رينو تتهمه بأنه لم يعد يحبها . ثم ان لدينا أدلة أخرى تثبت أنه كان ، عند موته ، على علاقة بسيدة فرنسية تدعى مسز دوبريل تقيم فى الفيللا المجاورة .

قطب السكرتير جبينه وقال :

ولكنك تضل السبيل يا سيدى . أننى كنت أعرف بول رينو . لم تكن بينه وبين تلك السيدة علاقة حب كما تظن . أنها كانت تبتز منه نقوده ، وقد حصلت منه على أربعة آلاف جنيه فى بضعة شهور . أننى قلت لك منذ لحظات أن هناك سرا يحيط بحياته ، ومن المؤكد أن مسز دوبريل تعرف هذا السر ، وكانت تهدده بافشائه .

صاح القاضى فى انفعال شديد :

- هذا جائز . نعم ، جائز جدا . ثمة نقطة أخرى . هل أطلعك مستر رينو على شروط الوصية ؟

- نعم . وقد سلمت أنا نفسى هذه الوصية للمحامى وهى وصية غير معقدة ، فان نصف ثروته تئول الى زوجته ، فى حين يئول الآخر الى ابنه ، وأظن أنه أوصى لى بألف جنيه .

- متى حرر هذه الوصية ؟

- منذ سنة ونصف .

- لعله يدهشك يا مستر ستونور أن تعلم أن مستر رينو حرر وصية أخرى منذ أسبوعين فقط ، وأنه أوصى بموجبها بكل ثروته لزوجته دون قيد أو شرط ولم يذكر ابنه فى هذه الوصية .

هز ستونور رأسه فى دهشة كبيرة وقال :

- هذه صدمة قاسية للشاب المسكين . ان أمه تعبده بالطبع ، ولكنها حركة من أبيه تدل على عدم ثقته به ، وتدل فى نفس الوقت على مدى العلاقة التى كانت تربطه بزوجته .

قال مسيو هوتيه : - هذا صحيح . من المحتمل أننا سنراجع آراءنا طبقا لبعض النظريات . وقد أرسلنا برقية الى سنتياجو وننتظر الرد ما بين لحظة وأخرى . ومن المحتمل أن يتضح كل شئ عندئذ . واذا تأكد لنا أن مسز دوبريل كانت تبتز أمواله ، فلابد لها أن تزودنا بمعلومات هامة .

وهنا تدخل بوارو فقال : - مستر ستونور .. هل تستطيع أن تخبرنا منذ متى والسائق الانجليزى ماسترز يعمل فى خدمة مستر رينو ؟

- منذ أكثر من سنة .

- هل تعرف اذا كان قد ذهب الى أمريكا الجنوبية ؟

- أننى واثق أنه لم يذهب اليها ، ثم أننى أؤكد لك أنه فوق الشبهات .

وكان القاضى هوتيه قد استدعى الشرطى مارشان وقال له :

- أخبر مسز رينو أنه يسرنى أن أذهب اليها لكى أتحدث معها بضع لحظات .

ومرت بضع لحظات دهشنا بعدها ونحن نرى مسز رينو تقبل علينا وهى شديدة الشحوب وترتدى ثياب الحداد . وأسرع القاضى هوتيه فقدم لها مقعدا . وبعد أن أعتذر اليها لازعاجه اياها قال :

- عرفت أن زوجك من أهالى كندا الفرنسية ، فهل يمكن أن تذكرى لى بعض

المعلومات الخاصة بشبابه وثقافته .

هزت رأسها وقالت : - لقد التزم زوجي الصمت بخصوص هذه الحقبة من حياته يا سيدى ، ولكنى أعرف أنه كان شقيا فى شبابه ، لأنه كان عزوفا عن الكلام فى هذه الناحية ، وكانت حياتنا تدور حول الحاضر والمستقبل فحسب .

أنحنى مسيو بكس نحوها عندئذ وقال فى رفق : - يحز فى نفسى أن أتسبب فى ايلامك يا سيدتى . ولكن ألديك من الأسباب ما يحملك على الظن بأن مسز دوبريل كانت عشيقة لزوجك .

دفنت مسز رينو وجهها بين يديها عندئذ وراحت تنتحب ، وسرت فى بدنها رعشة شديدة ، ولكنها رفعت رأسها أخيرا ، وقالت فى صوت يقطعه البكاء .

- لعلها كانت عشيقة .

ولم أر فى حياتى دهشة كالتى أرتسمت على وجه ستونور عندئذ ، فقد راح ينظر اليها فى ذهول شديد .

* * *

جاك رينو

قبل أن ينطق أحد بكلمة ، فتح الباب فى عنف ، ودخل شاب طويل القامة ما كدت أراه حتى خيل لى أن القتيل قد عاد الى الحياة ، ولكننى لم ألبث أن تحققت أن شعر رأسه أسود لم يخط المشيب اليه . وأسرع الشاب نحو مسز رينو دون أن يحفل بأحد منا وصاح ؟

- أمى ..

- جاك ..

وأخذته بين ذراعيها وهى تصيح باكية : - ولكن ما الذى أتى بك يا عزيزى .. ؟ كان يجب أن تبحر الى شربورج منذ يومين . ؟

وتحولت الينا قائلة :

- أقدم اليكم ابنى أيها السادة .

وقال مسيو هوتيه وهو يرد على تحية الشاب :

- أنت لم تبحر اذن ؟

- كلا يا سيدى .. فقد حدث أن تأخرت الباخرة أربعا وعشرين ساعة بسبب عطب فى آلاتها .. وكنت على وشك أن أرحل أمس بدلا من أول أمس عندما اشتريت جريدة مسائية ، وقرأت فيها القصة الفظيعة التى ألمت بنا .

واستطرد يقول فى صوت خافت : - يا لأبى المسكين .. نظرت مسز رينو اليه وكأنها فى حلم وقالت :

ثم أتت بحركة تدل على الارهاق الشديد واستطردت :

- لم يعد لهذا أهمية على كل حال .

قال مسيو هوتيه وهو يشير الى مقعد :

- أجلس يا مسيو رينو . أننى أشاركك أحزانك من أعماق القلب ، وأننى أعرف أنها صدمة عنيفة لك ومن حسن الحظ أنك لم ترحل لأننى أرجو أن تقدم لنا من المعلومات ما يجلو لنا هذا السر .

- اننى تحت تصرفك يا سيدى ، فسلنى ما تشاء .

- أظن أنك كنت ستقوم بهذه الرحلة بناء على رغبة أبيك .. ؟

- هذا صحيح يا سيدى فقد أرسل الى برقية يطلب منى فيها الذهاب الى بوينس ايرس دون تأخير ومنها الى سنتياجو .

- وماذا كان الغرض من هذه الرحلة ؟

- ليست لدى أية فكرة عن ذلك .

- كيف هذا . ؟

- ها هى البرقية ويمكنك أن تقرأها .

أخذ القاضى البرقية وقرأها بصوت مسموع ، وهذا نصها :

" امض الى شربورج مباشرة ، وابحر على الباخرة لنزورا المنطقة مساء اليوم الى بوينس ايرس ، وستجد هناك تعليمات أخرى لكى تذهب الى سنتياجو . لا تتأخر عن السفر فالأمر مهم جدا . رينو " .

وسأله مسيو هوتيه : - ألم تصلك منه أية تعليمات سابقة فى هذا الخصوص .

- كلا .. كنت أعرف طبعا أن أبى قضى فترة كبيرة من حياته فى بوينس ايرس ، وأن له هناك مصالح كثيرة ولكن لم يسبق له أن أبدى رغبته فى ارسالى هناك .

- لاريب أنك تعرف أمريكا الجنوبية جيدا يا مستر رينو .. ؟

- طبعا ، فقد قضيت طفولتى فيها . ولكننى تعلمت فى انجلترا ، وقضيت فيها

أجازتي . بحيث أصبحت لا أعرف أمريكا الجنوبية كما يجب ، وكنت فى السابعة عشرة عندما اندلعت نيران الحرب .

وتابع مسيو هوتيه استجوابه في رقة متناهية . ورد جاك رينو ، فقال أنه لا يعرف لأبيه أعداء فى سنتياجو أو فى أى مكان آخر ،وأنه لم يسمعه يتكلم أبدا عن أى سر وعندما سكت هوتيه لحظة قال المفتش جيرو فى هدوء :

- هل كنت على صلات ودية مع أبيك يا مستر رينو . ؟

- طبعا ..

- ألم يقع بينكما أى شجار ؟

هز جاك كتفيه وقال :

- يحدث أن يختلف الأب مع ابنه أحيانا

- هذا صحيح . ولكن اذا أكد شخص أن شجارا عنيفا وقع بينك وبين أبيك عشية سفرك ، فهل يكون هذا الشخص كاذبا ؟

ولم يسعنى الا الاعجاب بمهارة جيرو ، فهو لم يبعد عن الحقيقة حين قال أنه يعرف كل شئ . ونظر جاك رينو اليه فى حيرة شديدة وقال :

- لقد .. لقد تشاجرنا حقا

- آه .. ألم تقل له هذه العبارة ، سأستطيع أن أفعل كل شئ عندما تموت وعندما رد عليك بأنه لم يمت بعد ألم تقل له " أتمنى لو أن تموت "

استولى الانفعال على الشاب ، وطوح برأسه الى الخلف فى غضب وصاح :

- نعم .. أنى تشاجرت معه . ولعلنى قلت له كل هذه الأشياء . كنت فى شدة الغضب ، ولم أدر ماذا قلت له . وقد كان فى مقدورى أن أقتله عندئذ . ولك أن تستنتج من كل هذا ما تشاء

ابتسم جيرو ، وقال مسيو هوتيه :

- وما سبب هذه المشاجرة ؟

- أنى أرفض الرد على هذا السؤال .

اعتدل مسيو هوتيه فى مقعده وقال :

- اعلم يا مستر رينو أنه لا يجمل لأحد أن يقف ضد القانون . ما سبب هذه المشاجرة ؟

لزم الشاب الصمت وقد قطب وجهه . ولكن ارتفع صوت بوارو عندئذ قائلا فى هدوء :

- سأخبرك أنا عن سبب المشاجرة اذا أردت يا سيدى .. أنهما تشاجرا بسبب الآنسة مارت دوبريل .

أجفل رينو بشدة ، وانحنى القاضى نحوه وقال :

- هل هذا صحيح .. ؟

أجاب الشاب فى صوت خافت :

- نعم .. أننى أحب الآنسة دوبريل ، وأريد أن أتزوجها . وعندما أخبرت أبى بذلك ثار وهاج ، ولم أستطع أن أسمعه يهين تلك التى أحبها ، فاستولى الغضب على بدورى .

ألقى مسيو هوتيه نظرة الى مسز رينو وقال : - هل كنت تعلمين بهذا الحب يا سيدتى ؟

أجابت ببساطة :

- كنت أخشاه .

صاح ابنها يقول :

- كيف هذا يا أماه .. ؟ أنت أيضا ؟ ان مارت فتاة طيبة القلب بقدر ما هى جميلة . بماذا تؤاخذينها ؟

- بلا شئ .. ومع ذلك فأننى أود لو أن أراك تتزوج الجليزية .. أو على الأقل فتاة ليس لأمها أية سوابق مريبة .

وكان صوتها ينم عن الحقد الذى تشعر به نحو المرأة الأخرى ، وأدركت مدى ألمها وهى ترى ابنها متيما بابنة غريمتها . واستطردت مسز رينو تقول :

- ربما كان يجب أن أخبر زوجى بهذا الأمر ، ولكن خيل لى أنه مجرد نزوة سرعان ما تزول اذا لم أهتم بها . وأننى ألوم نفسى الآن على صمتى . ولكن كما قلت لكم كان زوجى يبدو قلقا ، متعبا على غير عادته ، فلم أشأ أن أزيد متاعبه .

أحنى مسيو هوتيه رأسه ثم خاطب جاك قائلا :

- هل دهش أبوك عندما أطلعته على نواياك بخصوص الآنسة دوبريل ؟ .

- كانت دهشته شديدة وقد أمرنى أن أطرد هذه الفكرة من رأسى قائلا أنه لن يوافق أبدا على مثل هذا الزواج . ولما سألته عن السبب أبى أن يتكلم ، واكتفى بأن قال أن هناك سرا يحوط بحياة مسز دوبريل وابنتها . ولما قلت له أننى سأتزوج البنت لا الأم رفض أن يناقشنى فى الأمر ، فتملكنى الغضب ، وقلت له أن موافقته لن تهمنى ، فذكرنى بأننى اعتمد عليه فى معيشتى كل الاعتماد ولاريب أننى قلت له عندئذ أنى أود لو أن يموت .

قاطعه بوارو قائلا : - اذن فأنت تعرف نصوص الوصية ؟ .

- أعرف أنه ترك لى نصف ثروته أما النصف الآخر فيجب أن يعود الى بعد موت أمى .

قال قاضى التحقيق : - حسنا .. استمر فى قصتك .

- راح كل منا يصرخ فى الآخر ، وقد تملكنا الغضب وأدركت فجأة أن القطار يوشك أن يفوتنى فخرجت ركضا ، وأنا لا أزال أغلى من الغضب . ولكننى لم ألبث أن هدأت ، وكتبت لمارت بما حدث ، فأجابتنى بأنه لابد أن نتمسك بموقفنا ، وان كل

اعتراض لابد أن يزول فى نهاية الأمر . ولم أقل لها السبب الرئيسى لاعتراض أبى على زواجنا . ورأيت أنى لن ألقى اى نجاح عن طريق العنف . على أن أبى أرسل إلى وأنا فى باريس خطابات كثيرة تنبض كلها بالحب والحنان ، ولم يشر فيها إلى الموضوع الذى تشاجرنا بسببه .

قال جيرو : - هل هذه الخطابات معك .. ؟

- كلا .. أننى مزقتها .

وسأله القاضى قائلا :

- لننتقل الى موضوع آخر . هل تعرف شخصا باسم دوفين ؟ .

قال جاك : - دوفين ؟ .

وانحنى الى الأمام وأمسك بقاطعة الورق من فوق المكتب وقلبها بين يديه لحظة ، وعندما رفع رأسه التقت عيناه بعينى جيرو الثابتتين فعاد يقول :

- دوفين .. ؟ كلا .. لا أعرف أحدا بهذا الاسم .

- اقرأ هذه الرسالة يا مستر رينو وأخبرنى هل لديك أى شك فى الشخص الذى أرسلها الى أبيك .

- أرسلها الى أبى ؟

كان انفعاله وسخطه واضحين .. وقال :

- كلا .. ليس لدى أى شك .

تنهد مسيو هوتيه وقال :

- لننتقل الآن الى سلاح الجريمة . أخشى أن يسبب لك ذلك بعض الألم يا مستر رينو ، لأن السلاح كان هدية منك لأمك .

انحنى جاك رينو الى الامام . وكان وجهه قد اضطرم وهو يقرأ الرسالة ، ولكنه شحب شحوبا شديدا عندما سمع عبارة قاضى التحقيق الآخيرة وقال :

– هل تعنى أن القاتل قتل أبى بهذه .. هذه القاطعة .. ؟ هذا محال .. ولكن أين هى .. ؟ أريد أن أراها .. أما زالت فى الجثة ؟

– أوه . كلا .. أننا انتزعناها منها .. هل تريد أن تراها .. ؟ هل لك أن تذهب وتأتينا بها يا مسيو بكس ؟ .

غادر مسيو بكس الغرفة ، ومضى ستونور الى جاك وشد كل منهما يد الآخر . ونهض بوارو وعدل شمعدانين بدا له أنهما موشكان على الوقوع ، وعاد قاضى التحقيق ، فقرأ من جديد رسالة الحب الغامضة ، متشبثا بنظريته الأولى فى أن الجريمة ارتكبت بسبب الغيرة ، وأن امرأة هى التى طعنت مستر رينو من الخلف . وفجأة انفتح الباب فى عنف ودخل القوميسيروهو يصيح فى انفعال :

– سيدى القاضى .. الخنجر قد اختفى .

صحت أقول :

– ولكن هذا محال .. أننى رأيته فى الاناء صباح اليوم .

وماتت الكلمات على شفتى ولكن جميع الأنظار تحولت الى ، وصاح القوميسير :

– ماذا تقول .. ؟ صباح اليوم ؟

أجبت فى بطء : – نعم .. منذ نحو ساعة ونصف على نحو التحديد .

– معنى هذا انك ذهبت الى الكوخ .. ؟ ولكن كيف دخلت .. ؟

– أننى أخذت المفتاح من الشرطى .

– ولماذا .. ؟

ترددت ، ولكننى رأيت أن من الأفضل أن أعترف بكل شئ ، فقلت وأنا أتمنى لو أن تبتلعنى الأرض .

– مسيو هوتيه .. اننى ارتكبت غلطة كبيرة أرجو أن تغفرها لى .. اننى التقيت بصديقة لى ، وقد أبدت رغبة شديدة فى أن ترى مسرح الجريمة ، فأخذت المفتاح من

الشرطى لكى أريها القتيل .

صاح قاضى التحقيق فى استياء : - ولكنك ارتكبت غلطة كبيرة جدا يا كابتن هاستنجز ، وما كان يجب أن تقدم عليها .

قلت فى خضوع :

- أعرف ذلك . وأننى أستحق كل ما تقول يا سيدى .

- ألم تطلب من هذه الفتاة الحضور هنا ؟

- كلا .أننى التقيت بها صدفة ، وهى فتاة انجليزية تقضى الصيف فى مرلنفيل .

قال القاضى وقد لانت أساريره : - حسنا . هذا عمل غير سليم ، ولكن لاريب أن الفتاة كانت جميلة .. آه من الشباب .. !

وأطلق تنهيدة عاطفية ، ولكن القوميسير كان رجلا عمليا ، فاستأنف الاستجواب قائلا :

- ولكنك سهوت عن غلق الباب بالمفتاح عند انصرافك .. ؟

- هذا هو ما ألوم نفسى عليه ، فان الفتاة كادت أن يغمى عليها عند رؤية الجثة ، فأسرعت الى البيت لكى آتيها بكوب من الماء ، ثم أصررت على مرافقتها الى المدينة بعد ذلك . وسهوت عن المفتاح ، فتركته فى الباب ، ولم أتذكره الا بعد عودتى .

قال القوميسير فى بطء :

- لقد ظل بالباب ما يقرب من نحو عشرين دقيقة اذن .

قال مسيو هوتيه :

- هذا أمر مؤسف .

ولكن مسيو جيرو صاح يقول :

- بل أمر رائع .

أثار هذا الحليف غير المنتظر دهشتنا جميعا ، ولم يأبه هو لذلك ، وعاد يقول :

- هو أمر رائع حقا ، لأنه يدلنا على أن للقاتل شريكا ، وأنه كان موجودا منذ نحو ساعة ، وهو بعمله هذا قد أقدم على مغامرة كبيرة للحصول على هذا الخنجر . لعله كان يخشى أن تجد عليه بعض البصمات .

نظر بكس الى بوارو وقال : - ألم تقل لى أنه ليس عليه أية بصمات ؟ .

ولكن جيرو هز كتفيه وقال : - ربما لم يكن القاتل واثقا من ذلك .

حدق بوارو فيه قائلا : - انك مخطئ يا مسيو جيرو . انه كان يلبس قفازا ، وعلى ذلك فان الذى أخذ الخنجر كان واثقا من عدم وجود بصمات عليه .

قال القاضى هوتيه عندئذ : - لقد انتهى عملنا هنا ، وأضع الآن القضية بين يدى المفتش جيرو ، وأرجو أن يلقى القبض على القاتل قريبا .

وانصرف بعد أن حيانا جميعا يتبعه كاتبه .

أخرج بوارو ساعته الضخمة من جيبه ، وألقى اليها نظرة ثم قال :

- فلنعد الى الفندق لتناول الغداء يا صديقى . ويمكنك أن تسرد على ما حدث صباح اليوم أثناء ذلك .

وخرجنا من الغرفة ، وكانت السيارة قد انطلقت بالقاضى وكاتبه . وكنت أهم بهبوط الدرجات الأمامية عندما استوقفنى بوارو قائلا :

- لحظة واحدة يا صديقى .

ثم أخرج من جيبه مترا ، وراح يقيس معطفا معلقا فى البهو لم أكن قد رأيته قبل ذلك ، وأدركت أنه اما أن يكون لمستر ستونور أو مستر جاك رينو . وقاسه بوارو من ياقته حتى أسفله . ثم تنهد فى ارتياح ، وأعاد المتر الى جيبه ، وتبعنى الى الخارج .

* * *

بوارو يوضح بعض النقاط

قلت ونحن نهبط الطريق فى بطء : - لماذا قست ذلك المعطف ؟ .

أجاب صديقى فى هدوء : - لكى أعرف طوله طبعا .

تملكنى الاستياء . وكان من عادة بوارو أن يحيط نفسه دائما بجو من الغموض كان يثير حنقى . ولزمت الصمت ، ورحت أفكر تفكيرا عميقا . وعلى الرغم من أننى لم أعلق أية أهمية فى ذلك الوقت الا أنه عادت الى ذهنى بعض العبارات التى وجهتها مسز رينو الى ابنها فقد قالت له : " أنت لم تبحر اذن ؟ " . ثم أردفت تقول : " لم يعد لهذا أهمية على أية حال " . فماذا كانت تعنى بهذه الكلمات الغامضة ؟ .

هل تعرف أشياء لا نعرفها نحن . ؟ أنها أنكرت معرفتها بالمهمة الغامضة التى كلف بها زوجها ابنه . فهل تجهل ذلك حقا كما تزعم ، أم أنها لزمت الصمت ، لأن الصمت يخدم مصالحها ؟ كنت مقتنعا بأنها تعرف أكثر مما أفضت به ، فان دهشتها حين رأت ابنها فجأة كشف عنها ، وكنت واثقا أنها ان لم تكن تعرف القاتلين ، فانها تعرف على الأقل الدافع الى الجريمة ، وأن هناك أسبابا قوية تبرر صمتها . وأفضيت بخواطرى لبوارو ، وأنا أتوقع منه أن يتهكم كعادته ولكنه قال لى :

- أنت على حق يا هاستنجز . أننى كنت واثقا منذ البداية أنها لم تذكر لنا كل شئ . بل اننى شككت فى أنها ربما اشتركت فى ارتكاب الجريمة ، فهى تستفيد فائدة كبيرة طبقا للوصية الجديدة ، وقد توجهت شكوكى اليها منذ البداية ، ولعلك لاحظت اننى فحصت معصميها ، فاننى أردت أن أتأ كد ان كانت قد أوثقت يديها بنفسها ، ولكننى لاحظت على الفور ان القيد كان مغروزا فى يديها بقوة كادت أن تشق اللحم .

وقد جعلنى هذا استبعد أن تكون ارتكبت الجريمة بمفردها ، ولكن كان هناك احتمال أن تكون اشتركت فى ارتكابها ، ثم أن القصة التى ذكرتها بدت لى ميلودرامية جدا ... رجلان مقنعان لا تعرفهما ، وكلمة السر .. كل هذا يدل على اعداد مسرحى ، ثم هناك تلك الساعة اليدوية يا هاستنجز .

ونظر بوارو الى نظرة غريبة وقال :

- هل تفهم ما أعنيه يا صديقى ؟

أجبت متبرما : - كلا .. أننى لا أفهم شيئا . انك تتكلم دائما فى غموض بحيث لا يفهمك أحد .

قال بوارو وهو يبتسم : - لا تغضب يا صديقى ، سأشرح لك الأمر اذا أردت ، ولكن لا تذكر كلمة واحدة منه لجيرو ، فان هذا الرجل يعاملنى كما لو كنت كهلا لا أهمية لى . ولكننى سوف أريه ، والان فكر معى يا صديقى ، واستخدم خلايا مخك .. متى وقعت الجريمة فى رأيك ؟

قلت مشدوها :

- فى نحو الساعة الثانية صباحا . ان مسز رينو قالت لنا أنها سمعت الساعة تدق عندما كان القاتلون فى الغرفة .

- تماما . وبناء على قولها هذا تقبل قاضى التحقيق ومسيو بكس والجميع هذه الساعة على أنها ساعة الجريمة ، ولكننى أنا ، هركيول بوارو أقول ان مسز رينو كذبت فان الجريمة وقعت قبل ذلك بساعتين .

- ولكن تقرير الطبيب الشرعى ؟

- انه قال بعد فحصه للجثة ان الموت وقع منذ ست أو سبع ساعات ، وقد كان هناك سبب غامض يا صديقى يحتم أن تكون الجريمة قد ارتكبت بعد وقت من ارتكابها فعلا . الم تسمع بقضايا تحطمت فيها الساعات وحددت بذلك وقت ارتكاب الجريمة .

وقد أراد بعضهم ألا يستند المحققون فى تحديد وقت الجريمة على أقوال مسز رينو فحسب فقدم الساعة ساعتين ثم القى بها فى عنف فوق الأرض فتحطم زجاج الساعة أما الساعة نفسها فبقيت سليمة . وكانت هذه كارثة لهم فى حد ذاتها ، لأنها أثارت اهتمامى إلى نقطتين ، أولهما أن هناك سببا جوهريا لتأخير الساعة ، ولا أرى لهذا أى تفسير آخر .

- وما هو ؟

- ذلك أن آخر قطار يغادر مرلنفيل فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة السابعة عشرة .

قلت وقد أشرق ذهنى فجأة :

- بحيث أنه اذا ظهر أن الجريمة قد أرتكبت بعد ذلك بساعتين فان أى شخص يستقل القطار تبتعد عنه الشبهة تلقائيا .

ولهذا يجب أن نستعلم فى المحطة ، فان أى رجلين غريبين عن الناحية اذا استقلا ذلك القطار لابد أن يستلفتا الأنظار .

- هل تظن ذلك يا هاستنجز ؟

- طبعا . هلم بنا الآن .

هدأ بوارو من انفعالى بأن لمس ذراعى وقال :

- هلم بنا يا صديقى ، ولكننى لو كنت مكانك لما استعلمت عن الرجلين الغريبين .

نظرت اليه فى ذهول فقال :

- لا أخالك تصدق قصة هذين الرجلين المقنعين . ألم تسمعنى أقول لجيرو أن ملابسات هذه الجريمة مألوفة لدى ؟ وهذا معناه واحد من أمرين ، أما أن تكون العقلية التى خططت الجريمة الأولى خططت هذه الجريمة أيضا وأما أن يكون القاتل قرأ عنها فى الصحف فى ذلك الوقت وظلت عالقة بذهنه ، وسوف أتحقق من ذلك بعد أن ...

وأمسك فجأة ولم يزد فقلت :

– ولكن خطاب مستر رينو يشير في وضوح الى وجود سر في سنتياجو .

– هناك سر في حياة مستر رينو بكل تأكيد . ومن ناحية أخرى ، من رأيى ان كلمة سنتياجو ما هى الا خدعة للتضليل ، وتأكد ان الخطر الذى كان يهدده لم يكن فى سنتياجو ، وانما هنا فى فرنسا .

– وعقب السيجارة وعود الثقاب ؟

– ما هى الا خدعة هما الآخران وضعا لتضليل جيرو ومن هم على شاكلته .

– اذن فقصة هذين الرجلين المقنعين ؟ .

– كاذبة .

– ما الذى حدث اذن ؟

هز بوارو كتفيه وقال :

– شخص واحد فى مقدوره ان يقول لنا ذلك وأعنى به مسز رينو ولكنها لن تتكلم . انها امرأة رائعة يا هاستنجز . ما أن رأيتها حتى ادركت انها امرأة فريدة . شككت فى البداية فى انها اشتركت فى الجريمة ، ولكننى غيرت رأيى فيما بعد .

– ولأى سبب ؟

– بسبب حزنها العميق أمام جثة زوجها . ان الصيحة التى أطلقتها كانت تنم عن حزن حقيقى . ثم أن اغماءها لم يكن مصطنعا ، فقد رفعت حاجبيها وجسست نبضها ، وتأكدت ان اغماءها حقيقى . كانت قد تظاهرت بالأغماء عندما سمعت بمقتل زوجها فى بادئ الأمر ، ولم تكن بها حاجة اذن لكى تتظاهر للمرة الثانية . كلا . ان مسز رينو لم تقتل زوجها . ولكن لماذا كذبت ؟ .. انها كذبت فيما يتعلق بالساعة اليدوية ، وكذبت فيما يتعلق بالرجلين المقنعين ، وكذبت فيما يتعلق بأمر ثالث .. قل لى يا هاستنجز ، ما هو تفسيرك للباب المفتوح ؟ .

قلت فى شئ من الارتباك :

- أظن أن الأمر مجرد اهمال . لا ريب انهما نسيا اغلاقه .

تنهدت بوارو وهز رأسه وقال :

- هذا تفسير أولى ، ولكنه لا يرضينى .. هناك تفسير آخر لم اهتد اليه بعد .

صحت فجأة :

- ان لدى فكرة .

- حسنا اننى مصغ اليك .

- اننا اتفقنا على ان قصة مسز رينو كاذبة . أفلا يحتمل أن يكون مستر رينو قد خرج لكى يذهب الى موعد ، أو أن يكون قد خرج مع القاتل ، وأنه ترك الباب مفتوحا ريثما يعود ، ولكنه لم يعد ، ووجدوه مطعونا فى ظهره صباح اليوم التالى .

- هذه نظرية جميلة يا هاستنجز ، ولكنك كعادتك نسيت نقطتين . أولا من الذى قيد مسز رينو ، ولماذا عاد القاتلان بعد ذلك لكى يقيداها .

ثانيا ، لا يذهب أى رجل الى موعد ما وهو لا يرتدى غير ثيابه الداخلية . كلا . اننى أكاد أكون واثقا من شئ ، وهو انهم لم يخرجوا من الباب وانما من النافذة .

- ولكن ليست هناك آثار أقدام على أحواض الورد تحت النافذة .

- معنى هذا أنهم أزالوها ، وساووا التربة الأرضية للأحواض بعد ذلك بطريقة ما .

وساد الصمت بيننا لحظة وقطعته أخيرا قائلا :

- حسنا . على الرغم من اننا عرفنا الكثير منذ قدومنا الا أننا لم نعرف بعد من الذى قتل مستر رينو .

قال بوارو فى هدوء :

- نعم . هذا صحيح .

وراح يتكلم عن الجريمة والمجرمين ، ويفند كل نقطة من النقاط التى تحيط بمقتل

مستر رينو ، وقال ان للقاتل عقلية فذة ، وأنه على الرغم من ذلك لابد أن يكون قد غفل عن شئ ، وأنه هو ، بوارو العظيم الذى لا يمكن أن يجاريه أحد لابد وأن يكشف أمره فى وقت قريب .

وفيما هو يتحدث سطع الضوء فى ذهنى فجأة فصحت أقول :

- بوارو ، اننى أفهم كل شئ الآن . لاريب أن مسز رينو تتستر على أحد ما .

قابل بوارو ملاحظتى هذه فى هدوء ، الأمر الذى جعلنى أضمن أنه قد فطن اليها من قبل ، وقال فى تفكير :

- نعم . انها تتستر على أحد ، أو تخفى أحدا .. هذا أمر سوف نعرفه بكل تأكيد..

وكنا قد بلغنا الفندق فأشار الى بأن الزم الصمت .

***

ذات العينين القلقتين

قال بوارو يسألني فى خبث بعد أن فرغنا من تناول الغداء :

- حسنا . الا تنوى أن تقضى على مغامرتك .

اضطرم وجهى ، وأدركت أنه لا قبل لى بالنضال مع بوارو ، وما هى الا دقائق حتى كنت قد أفضيت اليه بكل شئ ، فقال وعيناه تلمعان خبثا :

- آه . هذه قصة رومانسية تماما ، ما أسم هذه الفتاة الظريفة ؟

واضطررت ان اعترف له بأننى لا أعرفه فقال :

- هذا عجيب . اللقاء الأول فى اكسبريس باريس ، والثانى هنا .. كنت مشغولا أمس بالآنسة دوبريك ، واليوم بالآنسة سندريلا .. ان لك قلب تركى يا هاستنجز ، سوف تجمع حولك عددا من الحريم .

يروق لك دائما أن تداهن . أن الآنسة دوبريل جميلة جدا ، واعترف بأننى معجب بها كثيرا . أما الأخرى فليس فيها أى شئ غريب ، ولا شك اننى لن أراها بعد اليوم . كانت ظريفة كرفيقة سفر ، ولكنها تنتمى الى طبقة أدنى من طبقتى ، ولا أستطيع الزواج منها .

- أننى أشاركك رأيك يا صديقى ، ولكن هذا لا يهم مادمت لا تنوى رؤية هذه الفتاة بعد ذلك .

وكانت كلماته الأخيرة أقرب الى أن تكون سؤالا ، ورأيته يحدق فى . وكانت لافتة فندق الفنار أمام عينى ، وسمعت صوت سندريللا يقول لى " تعال لزيارتى غدا ، وفى بادئ الأمر كان فى نيتى أن أذهب اليها ، ولكننى لم ألبث أن فكرت مليا ،

وأدركت انها لا تروق لى كثيرا ، وانني ورطت نفسي بحماقة لكى أرضى فضولها ، ولم أشعر بأية رغبة فى رؤيتها ، ولهذا قلت لبوارو فى غير اكتراث :

- انها طلبت منى أن اذهب لزيارتها ، ولكننى لن اذهب .

- ولماذا ؟

- لا شئ بالذات .. ولكننى لا أريد أن أراها .

حدجنى بضع لحظات باهتمام ثم قال :

- آه ، حسنا . انك على حق .. أبق على رأيك ولا تغيره اذن . انك قلت لى انها تنزل فى فندق انجلترا ، أليس كذلك ؟

- كلا .. بل فى فندق الفنار .

- هذا صحيح ، لقد نسيت .

تولد الشك فى ذهنى على الفور . كنت واثقا اننى لم أذكر له اسم أى فندق ، وألقيت اليه نظرة ، فرأيته يقطع الخبز فى هدوء فاطمأننت وقد خيل لى أنه توهم اننى ذكرت له اسم الفندق الذى نزلت به الفتاة .

وبعد ان فرغنا من القهوة نظر الى ساعته ثم قال :

- يجب أن أنصرف الآن لكى الحق بالقطار المنطلق الى باريس فى الساعة الواحدة والنصف .

صحت فى دهشة :

- باريس .. ولماذا تمضى الى باريس ؟

أجاب فى هدوء :

- لكى أبحث عن قاتل مستر رينو .

- هل تعتقد أنه فى باريس ؟

- بل اننى واثق انه ليس فى باريس . ومع ذلك فلابد ان أبحث عنه هناك . انك لا

تفهم شيئا يا عزيزى ، ولكننى سأوضح لك كل شئ فى الوقت المناسب . لن أغيب طويلا ، وسوف أعود غدا . لن أطلب منك مرافقتى ، وعليك بالبقاء هنا ومراقبة جيرو ورينو الابن ثم حاول أن تتصادق مع الآنسة مارت ، وان كنت واثقا انك لن تلقى نجاحا كبيرا معها .

ولم ترق لى ملاحظته الآخيرة وسألته :

- تذكرت شيئا الآن . كيف ضمنت العلاقة التى بين هذين الشابين ؟

- ذلك اننى أعرف الطبيعة البشرية يا صديقى .

ضع شابا كرينو أمام فتاة جميلة كالآنسة مارت ، فتكون النتيجة حتمية تقريبا . ثم تلك المشاجرة .لم يكن هناك أى ريب فى ان سببها إما امرأة أو المال وعندما سمعت أقوال ليونى تصف غضب الشاب أدركت أن فى الأمر امرأة .

- الهذا السبب نصحتنى ألا أشغل بالى بها . هل كنت تشتبه عندئذ فى انها تحب رينو الشاب ؟

ابتسم بوارو وقال : - بل لأننى رأيت القلق فى عينيها فى ذلك الوقت . وسأتذكر الآنسة دوبريل دائما على أنها ذات العينين القلقتين .

وغادرنى بوارو ، وأحسست عندئذ بالضياع ، فمضيت الى البلاج ، ورحت أنظر الى المستحمين ، دون أن أحس بأية رغبة فى الانضمام اليهم . وكنت ، أظن أننى سأجد سندريلا بينهم ، ولكننى لم أر لها أثرا . وقضيت بعض الوقت وأنا أتمشى على البلاج دون أية غاية . وقلت لنفسى أن قواعد السلوك تهيب بى أن أمضى للسؤال عن الفتاة ، وان ذلك قد يجنبنى بعض المتاعب فيما بعد ، وأنه يجمل بى أن أراها لكى أقول لها اننى لا أستطيع أى شئ فى سبيلها ، لأننى اذا لم أفعل فقد تلاحقنى فى الفيللا .

وغادرت البلاج ، ومضيت الى المدينة ، وأنا أقول لنفسى اننى مادمت لم أرها

على البلاج فلابد أنها موجودة الآن فى الفندق . وكان هناك أشخاص كثيرون يجلسون ببهو الفندق ، ولكنها لم تكن بينهم ، فانتظرت لحظة ولكن نفذ صبرى ، فأخذت البواب على حدة ، ودسست فى يده خمسة فرنكات ، وذكرت له أوصاف سندريللا ، فهز رأسه وقال انه لا يوجد بالفندق فتاة بهذه الأوصاف ، وانه ليس بالفندق غير خمس سيدات مسنات ، فقلت له فى توكيد :

– ولكنها قالت لى أنها نزلت بهذا الفندق .

– لاريب انك اخطأت السماع ، أو لعل السيدة هى التى أخطأت . ولكننى واثق مما أقول ، خاصة وان رجلا آخر سبقك فى السؤال عنها .

وانطبقت الأوصاف التى ذكرها لى عن الرجل على هركيول بوارو .

وشكرت البواب ، وانصرفت وأنا نهبة للحيرة والغضب . كنت غاضبا من صديقى لتدخله فى شئونى الخاصة ، ولو انه كان أمامى فى هذه اللحظة لصببت عليه جام غضبى .

ولكن أين ذهبت سندريللا ؟ ... وتغلبت على حنقى ، وحاولت أن أجد تفسيرا لهذه المشكلة ، أتراها أخطأت وهى تذكر اسم الفندق ؟ أم أنها تعمدت ذلك .

كلما فكرت فى الأمر زاد اقتناعى بأنها تعمدت أن تذكر اسم فندق آخر غير الذى نزلت به ، وانها لسبب من الأسباب أرادت أن تمنعنى من رؤيتها . وعدت الى فيللا جنفييف وأنا فى ضيق شديد ، ولم أمض إلى البيت ، وانما ذهبت الى البقعة المكشوفة وجلست على مقعد بجوار الكوخ عابس الوجه .

وغرقت فى لجة الأفكار ، ولكننى لم ألبث أن انتبهت فجأة وأنا اسمع أصواتا تتحدث قريبا منى . وأدركت بعد لحظة ان الأصوات لم تكن صادرة من الحديقة التى أجلس فيها ، وانما من الحديقة الملحقة بفيللا مرجريت . وتبينت من الأصوات صوت مارت دوبريل الجميلة . وكانت تقول :

- هل صحيح يا حبيبى ان كل متاعبنا انتهت ؟

وأجابها رينو قائلا :

- تعرفين يا مارت انه لم يعد هناك ما يفرق بيننا الآن . لقد اختفت آخر عقبة من طريقنا ، ولن يقف فى سبيلنا شئ .

تمتمت الفتاة :

- لا شئ ؟ ... أوه يا جاك . اننى خائفة .

نهضت من مكانى لكى ابتعد ، لأننى وجدت اننى قد زججت بنفسى فى موقف حرج رغما عنى . ولكننى ما أن نهضت حتى رأيتهما من خلال ثغرة فى السياج ، كانا يقفان . كل منهما أمام الآخر ، وقد أحاط الشاب خصر رفيقته بذراعه وراح يرنو اليها كانا يبدوان كعاشقين يتذوقان السعادة على الرغم من المأساة التى تبسط ظلالها على حياتيهما ، ولكن وجه الفتاة كان شديد الانزعاج ، ولا ريب أن الشاب قد لحظ لأنه سألها قائلا :

- ولكن مم تخافين الآن يا حبيبتى ؟ .. لم يعد هناك داع للخوف الآن .

وعندئذ تبينت فى عينى الفتاة تلك النظرة التى تكلم بوارو عنها وسمعتها تقول :

- اننى خائفة .. عليك أنت .

ولم أسمع رد جاك رينو ، فقد رأيت شيئا يتحرك فى مكان بعيد من السياج أثار اهتمامى ، فمضيت نحوه لكى أتحقق منه ، ولكنه انتقل فجأة وواجهنى . كان ذلك الشئ هو جيرو ، ووقف أمامى واضعا أصبعه فوق شفتيه ، ثم دار بالكوخ حتى ابتعدنا عن مصدر الحديث . وقلت أسأله :

- ماذا تفعل هنا ؟

- ما كنت تفعل أنت بالذات .

- ولكننى جئت الى هذا المكان صدفة .

- اما أنا فقد أتيت عامدا . وقد أضعت أنت على الفرصة بقدومك .

ولكن ماذا حدث لصاحبك ذى الآراء البالية ؟ أجبت في برود :

- ان بوارو ذهب الى باريس . وآراؤه ليست بالية كما تقول ، فقد كشف غوامض قضايا كثيرة استغلقت على البوليس الانجليزى .

قال جيرو وهو يفرقع باصبعه فى احتقار :

- البوليس الانجليزى ... لاريب أنه أشبه بقضاة التحقيق عندنا . حسنا ، أرجو ان يستقر به المقام فى باريس فان ذلك خير له .

وعدت الى الفندق ، وأويت الى فراشى فى وقت مبكر وفى صباح اليوم التالى كنت أتناول طعام الأفطار فى مطعم الفندق عندما اقترب منى رئيس الخدم وقال :

- معذرة يا سيدى . ألست مهتما بالتحقيق فى جريمة فيبلا جنفييف ؟

ولما أجبته بالايجاب ، وسألته عن السبب قال :

- الم تسمع آخر الأنباء يا سيدى ؟ ... لقد وقعت جريمة قتل ثانية مساء أمس .

تركت طعامى قبل أن أفرغ منه وأخذت قبعتى وأسرعت الى الفيللا ركضا ، وكان هناك بعض الخدم متجمعين أمام الفيللا ، وكانت فرانسواز بينهم فسألتها قائلا :

- ما الذى حدث ؟

- أوه يا سيدى . قتيل آخر . هذا فظيع . لاريب ان اللعنة حلت بهذا البيت ... لن أبقى فيه يوما آخر ... فمن يدرى ... ربما يكون الدور على الآن . صحت :

- ولكن من الذى قتل هذه المرة ؟

- وأنى لى أن أعرف ؟ .. رجل غريب ، وجدوه فى الكوخ ، على بعد مائة متر من المكان الذى وجدوا فيه مستر رينو المسكين وقد أصابته طعنة فى صدره بنفس الخنجر .

- وغمغمت فى دهشة :

- يا الهى ... جثتان فى وقت واحد ... فكأننا لسنا فى احدى الفيلات ، وانما فى ناد للجريمة ..!

الجثة الثانية

تركت فرانسواز من غير ان أصغى الى المزيد ، وأسرعت الى الكوخ وأفسح لى الحارسان اللذان يقومان بالحراسة الطريق ، وكان الظلام يخيم على الكشك الذى يستخدم كمخزن لأوانى الزهور وأودات الفلاحة .

وأسرعت بالدخول ، ولكننى سرعان ما توقفت على عتبة الكشك مشدوها أمام المنظر الذى يطالعنى .

كان جيرو جاثيا على أربع يمسك فى يده مصباحا كهربيا ويفحص الأرض . ورفع رأسه وهو يسمع خطواتى .. وقال عابس الأسارير :

– آه . أهذا أنت أيها الانجليزى ؟ .. ادخل وقل لنا ما الذى تستنتجه ؟

كان الميت راقدا على ظهره ، وكان متوسط القامة ملوح البشرة ، فى نحو الأربعين من العمر ، يرتدى بذلة غامقة اللون من نوع جيد . وكان وجهه شديد التقلص ، وقد ظهر فى جنبه الأيسر ، فوق القلب بقليل نصل خنجر عرفته على الفور ، فقد كان هو نفس الخنجر الذى رأيته فى الوعاء الزجاجى بالأمس . وقال جيرو :

– اننى أنتظر قدوم الطبيب الشرعى ما بين لحظة وأخرى ، وان لم يكن هناك داع لقدومه ، فان سبب الموت واضح . انه طعن فى القلب ومات على الفور .

– متى حدث هذا ؟ مساء أمس ؟

أجاب جيرو :

– لا أظن ذلك ، وأنا لست خبيرا فى الشئون الطبية على كل حال ، ولكن يبدو لى أن هذا الرجل قد مات منذ أكثر من أثنتى عشرة ساعة . متى تقول انك رأيت الخنجر

لآخر مرة ؟

- فى نحو الساعة العاشرة من صباح أمس .

- فى هذه الحالة فاننى أميل الى الظن ان الجريمة وقعت بعد قليل من ذلك .

- ولكن حركة الذهاب والأياب كانت على أشدها طوال النهار أمام الكشك .

ضحك جيرو ضحكة بغيضة وقال :

- انك تحرز تقدما كبيرا يا صاحبى . من الذى قال لك أنه قتل فى هذا الكشك . انظر الى جيدا . هل تظن ان الرجل الذى يموت بطعنة فى القلب ، يقع على الأرض هكذا ، متقارب القدمين ممدود الذراعين الى جانبيه . وهل يرقد الرجل على ظهره هكذا ، ويترك غريمه يطعنه ، دون أن يحاول الدفاع عن نفسه ، ان هذا يدل على الغباء . اليس كذلك ؟ ... انظر .

وسلط أشعة مصباحه على الأرض الرطبة فرأيت آثارا غير مستقيمة ، واستطرد جيرو يقول :

- لقد تعاون شخصان على حمله تارة وعلى جره تارة أخرى . وآثارهما غير واضحة فى الخارج ، لأن الأرض جافة ، ولكنهما حرصا على ازالتها داخل الكشك . وأحد هذين الشخصين امرأة يا صديقى .

- امرأة ؟ ... وكيف عرفت ذلك اذا كانت الآثار قد أزيلت ؟

- لأن أثر حذاء المرأة يبقى ظاهرا بهما حاولت ازالته . ثم هناك هذا .

وانحنى الى الأمام ، والتقط من مقبض الخنجر شعرة طويلة سمراء ، أشبه بتلك التى التقطها بوارو من فوق المقعد الجلدى بغرفة المكتبة .

ولفها جيرو حول المقبض من جديد ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، ثم قال :

- سنترك كل شئ على حاله بقدر المستطاع الى أن يأتى قاضى التحقيق . ولكن ألم تلاحظ شيئا آخر ؟ .. كلا ؟ .. أنظر الى يديه يا صديقى .

نظرت الى يدى القتيل . كانت أظافره مكسورة ، باهتة اللون ، ويداه خشنتان . ولم أفهم شيئا من ذلك ، ونظرت الى جيرو مستفسرا فقال :

- أن يديه تدل على أنه من العمال ، ولكن ثيابه غالية ، وليس بها أية علامة مميزة ، ومعنى هذا أنه كان يحاول أن يبدو على غير حقيقته .. كان متنكرا ... ولكن لماذا ؟ ... هل كان يخشى شيئا ، وهل كان يحاول بتنكره هذا الأفلات من شئ . اننا لا نعرف شيئا من هذا بعد . ولكننا نعرف شيئا واحدا على الأقل ، وهو انه حاول اخفاء شخصيته الحقيقية .

ونظر الى الجثة فى اهتمام شديد وقال .

- وليست هناك أية آثار على مقبض الخنجر تماما كالمرة الأولى . وقد لبس القاتل هذه المرة قفازا ..

ثم نادى مارشان ، وظهر الشرطى على عتبة الباب فقال له :

- لماذا لم تأت مسز رينو ؟.. اننى استدعيتها منذ ربع ساعة .

- ها هى ذى قادمة يا سيدى ومعها ابنها .

وما هى الا لحظات حتى دخلت مسز رينو ، فأشار جيرو الى القتيل وقال :

- ها هو الرجل . فهل تعرفينه ؟

نظرت مسز رينو الى الجثة فى هدوء ثم قالت :

- كلا . لم أره قبل ذلك أبدا . اننى لا أعرفه البتة .

- ألا يمكن أن يكون أحد الرجلين اللذين اعتديا عليكما ؟

- كلا . لقد كان لكل منهما لحية طويلة ... وعلى الرغم من أن قاضى التحقيق يقول انهما لحيتان زائفتان ، الا اننى واثقة ان هذا الرجل ليس واحدا منهما .

- حسن جدا يا سيدتى . هذا كل شئ .

خرجت مسز رينو رافعة الرأس ولمع شعرها الفضى تحت أشعة الشمس . ودخل جاك

رينو بعدها وأنكر هو الآخر معرفته بالرجل القتيل .

ولم ينطق جيرو بكلمة ونادى مارشان وسأله قائلا :

- هل جاءت الأخرى ؟

- نعم يا سيدى .

- دعها تدخل اذن .

ولم تكن الأخرى غير مسز دوبريل ودخلت وهى بادية السخط ، وقالت فى حدة :

- اننى أحتج يا سيدى . هذه اهانة . مادخلى فى كل هذا ؟

قال جيرو فى قسوة :

- سيدتى . اننى لا أحقق فى جريمة قتل واحدة وانما فى جريمتين ، وما أدرانى انك لم ترتكبيهما .

صاحت :

- كيف تجرؤ على هذا القول ؟ ... كيف تجرؤ وتهينني بأتهاماتك الجنونية ... هذا عار .

- حقا ؟ ... وما قولك فى هذه ؟

وانحنى والتقط الشعرة من جديد ، وقال وهو يتقدم نحوها :

- هل ترين هذه يا سيدتى ؟ ... دعينى أقارن بينها وبين شعرك .

أرتدت الى الخلف ، وهى تطلق صيحة ، وقد جحظت عيناها وصاحت :

- هذا كذب ، وأقسم على ذلك . اننى لا أعرف شيئا عن الجريمة ... عن أى من الجريمتين . ومن يقول عكس ذلك فانه يكذب . آه . يا الهى ! ما العمل ؟

قال جيرو فى برود :

- هدئى من روعك يا سيدتى . ان أحدا لم يتهمك بعد . ولكن يجمل بك أن تردى على اسئلتى بدون أى تردد .

- قل ما تشاء يا سيدي .

انظري الى هذه الجثة . هل سبق لك أن عرفت هذا الرجل ؟

ازدادت مسز دوبريل اقترابا . ونظرت الى القتيل في اهتمام وفضول واضحين ، ثم هزت رأسها وقالت :

- انني لا أعرفه .

وكان من المستحيل الشك في قولها ، لأنها تكلمت بهدوء وبلهجة عادية . وصرفها جيرو بحركة من رأسه . وقلت له في صوت خافت :

- هل تتركها تذهب ؟ هل من الفطنة أن تفعل ذلك ؟ ... ان هذه الشعرة لها بكل تأكيد .

قال جيرو في حدة :

- لست بحاجة الى من يعلمني مهنتي . أنت تراقبها ، ولا أريد القاء القبض عليها الآن .

وقطب حاجبيه ، ونظر الى الجثة ثم قال فجأة :

- ألا تدل هيئة هذا الرجل على أنه أسباني ؟

أجبت :

- كلا . بل يبدو أنه من الفرنسيين .

ووقف مكانه لحظة ، ثم أقصاني عن طريقه بحركة من يده ، وجثا على ركبتيه من جديد ، وراح يفحص الأرضية شبرا شبرا . فقلب أواني الزهور ، وفحص كل شئ ، وأسرع الى ربطة بجوار الباب ، ولكنها كانت تضم سترة وبنطلونا قديمين في حالة يرثى لها فألقاها فوق الأرض محنقا . واهتم بقفاز قديم ، لم يلبث ان طرحه جانبا هو الآخر ونهض أخيرا ، وقد غرق في لجة من الأفكار ، وأظن انه نسي أمري . وأقبل قاضي التحقيق في هذه اللحظة ومعه كاتبه ومسيو بكس والطبيب الشرعي . وقال مسيو

هوتيه :

- هذا أمر عجيب يا مسيو جيرو .. جريمة قتل أخرى .. ! اننا لم نكشف غوامض الجريمة الأولى بعد . ولكن من القتيل هذه المرة ؟

- ان أحدا لم يعرفه حتى الآن .

وقال الطبيب :

- أين الجثة ؟

أشار جيرو اليها وهو يقول :

أنه قتل بطعنة فى القلب كما ترى ، وبنفس الخنجر الذى سرق أمس .. وأظن أنه قتل بعد سرقة الخنجر بقليل .

انحنى الطبيب فوق الجثة ، وقال قاضى التحقيق : - وتقول ان أحدا لم يتعرف عليه حتى الآن ؟ الا يمكن أن يكون أحد القاتلين .. لعلهما تشاجرا ..

هز جيرو رأسه وقال : - ان هذا الرجل فرنسى الجنسية ، وأنا واثق من هذا .

وفى هذه اللحظة قال الطبيب فى شئ من الحيرة : - تقول أنه قتل صباح أمس ؟

أجاب جيرو : - أقول ذلك استنادا على سرقة الخنجر . ومن المفهوم طبعا أنه قتل بعد ذلك بكثير .

- هذا محال . ان هذا الرجل مات منذ ثمان وأربعين ساعة على الأقل .. وربما منذ أكثر من ذلك .

ورحنا نتبادل النظر مشدوهين .

* * *

صورة

كانت كلمات الطبيب الشرعى من الغرابة بحيث استعصى علينا الكلام ، فها نحن نجد أنفسنا أمام رجل قتل بخنجر لم يسرق منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة ، فى حين يؤكد الدكتور دوران أنه مات منذ ثمان وأربعين ساعة على الأقل .

وكنا لا نزال تحت تأثير دهشتنا ، عندما جاءونى ببرقية من بوارو يقول لى فيها أنه قادم بقطار الثانية عشرة والنصف . ونظرت الى ساعتى ورأيت أننى سأصل الى المحطة مع وصول القطار ، فأسرعت لكى أكون أول من يبلغه بآخر الأنباء .

ولكن القطار تأخر بضع دقائق ، ورأيت أن أستفيد من الوقت الذى سأقضيه فى الأنتظار ، فمضيت الى حمال المحطة ، وهو رجل ذكى ، ولم أجد صعوبة فى حمله على الكلام ، فقال ان من العار أن يفلت القاتلان من البوليس وأجبته بأنهما ربما استطاعا الهرب بقطار منتصف الليل ولكنه استبعد هذا الافتراض نهائيا ، قائلا أنه كان لابد له من رؤيتهما عندئذ ، لأنه لم يستقل القطار فى هذه الليلة غير نفر قليل من الناس ، وأن الرجلين الملتحيين لم يكونا بينهما .

ولا أدرى لماذا سألت السؤال التالى ، ولعل الذى دفعنى اليه هو نبرات القلق الشديد الذى لمسته فى صوت مارت دوبريل فقد قلت أسأله :

– ان مستر رينو لم يستقل ذلك القطار ، أليس كذلك .. ؟

– آه .. كلا يا سيدى .. وأنه ليكون أمرا غريبا على كل حال أن يعود ويسافر من جديد ، ولم يمض على وصوله أكثر من نصف ساعة .

نظرت الى الرجل دون أن أفهم فى بادئ الأمر ، ولكننى لم ألبث أن صحت أقول

وقلبى تتزايد خفقاته :

- هل تعنى أن جاك رينو عاد فى تلك الليلة الى مرلنفيل ؟ .

- نعم يا سيدى . عاد بآخر قطار من باريس ، ذلك الذى يرحل فى الساعة الثانية عشرة .

خيل الى اننى سأنهار . هذا هو السبب فى قلق مارت اذن ! . لقد كان جاك رينو فى مرلنفيل مساء الجريمة ، ولكن لماذا لم يقل ذلك ؟ ولماذا ترك الجميع يعتقدون أنه كان فى شربورج . ولم يسعنى عندئذ الا أن أظن أنه ضالع فى الجريمة .. ولكن لماذا هذا الصمت من ناحية .. كانت هناك حقيقة مؤكدة ، وهى أن مارت كانت تعلم بوجوده فى مرلنفيل .. وهذا هو مبعث قلقها ، وسبب الأسئلة التى وجهتها لبوارو لكى تعرف اذا كان البوليس يشك فى أحد .

وأقبل القطار وأنا مستغرق فى أفكارى هذه ، وهبط بوارو منه متلألئ الوجه ، وصاح يقول حين وقع بصره على :

- أننى نجحت الى أبعد الحدود يا صديقى العزيز .

- حقا . يسرنى أن أسمع هذا . ولكن هل تعرف آخر الأنباء ؟

فرد نفيا ، فقلت :

- لقد وقعت جريمة قتل أخرى .. أن الجرائم تتوالى وتتلاحق ، حتى لقد خيل الى أننا فى مباراة ، وأننا مقيمون هنا فى ناد للجريمة .

وأطلعته على نبأ الجريمة الثانية ، وما كاد يلم بظروفها حتى صاح : ماذا تقول ؟ جريمة قتل أخرى . أننى أخطأت كل الخطأ اذن . ولكن هذا محال . لا يمكن أن أكون على خطأ . ان الحقائق مؤكدة ولا تحتمل غير تفسير واحد . ولابد اننى على صواب . ان جريمة القتل الثانية من المستحيل وقوعها . أوه ، أرجو المعذرة يا صديقى .. انتظر .. لا تقل شيئا .

ولزم الصمت لحظة . ثم استعاد هدوءه العادى وقال :

- أن القتيل هذه المرة رجل متقدم فى السن ، وقد وجدت جثته فى الكشك المغلق بالمفتاح ، بجوار مسرح الجريمة الاولى ، ومات منذ ثمان وأربعين ساعة على الأقل . ومن المحتمل أن يكون قد طعن بنفس الطريقة التى طعن بها مستر رينو .

صحت أقول فى دهشة كبيرة :

هل تهزأ بى يا بوارو ؟ انك كنت تعرف النبأ .

نظر الى فى عتاب وقال :

- أؤكد لك أننى لم أكن أعرف شيئا على الأطلاق .. ألم تر الصدمة التى أصبت بها عندما أطلعتنى أنت على النبأ .

- ولكن كيف عرفت هذا بحق الشيطان ؟

- هل معنى هذا أننى على صواب .. ؟ ولكننى كنت أعرف ذلك ، لأننى أعرف كيف استخدم خلايا مخى يا صاحبى . والآن قل لى كل شئ .

سردت عليه كل ما أعرفه ونحن فى الطريق الى فيللا جنفييف وأصغى بوارو الى فى اهتمام وقال :

- تقول ان الخنجر كان فى الجرح ؟ هل أنت واثق من أنه نفس الخنجر ؟

- كل الثقة .. وهذا هو وجه العجب فى الأمر .

- لا عجب هناك . لعل هناك خنجرين من نفس النوع .. ؟

قلت : - هذا بعيد الاحتمال . ولو صح ذلك لكانت مصادفة عجيبة .

- انك تتكلم دون تفكير كعادتك . ان وجود سلاحين متشابهين أمر بعيد الاحتمال فى بعض الحالات . ولكن السلاح فى هذه الحالة بالذات تذكار حرب صنع بناء على تعليمات من جاك رينو . ومن المحتمل تماما أن يكون قد صنع نموذجا آخر منه لاستعماله الخاص .

وبلغنا الكشك عندئذ ، ووجدنا به جميع أصدقائنا . وبدأ بوارو العمل بعد أن حيا الجميع . ولما كنت قد رأيت جيرو قبل ذلك يقوم بفحص المكان فقد اهتممت كل الاهتمام بطريقة بوارو . ولكن هذا الأخير لم يلق غير نظرة سريعة حوله ، ثم انحنى ليفحص السترة والبنطلون الباليين اللذين ألقاهما جيرو على الأرض . وارتسمت على شفتى المفتش ابتسامة احتقار ، ويبدو أن بوارو لحظ ذلك لأنه ألقى القطعتين فوق الأرض وهو يقول :

- أظن أنها ثياب قديمة تخص البستانى .

قال جيرو : - طبعا .

وجثا بوارو بجوار الجثة . وكانت أصابعه سريعة ودقيقة ، فلمس قماش الثياب ، واكتفى بأن قال أنه ليس بها علامة مميزة . ولكنه فحص حذاء الرجل فحصا دقيقا ، وكذلك أظافره القذرة المكسورة . ولم يلبث أن توترت أعصابه ، وقال مخاطبا الطبيب الشرعى :

- هل لاحظت الزبد حول الشفتين يا دكتور ؟

اقترب الطبيب من الجثة ، وألقى اليها نظرة ، ثم قال :

- اعترف اننى لم ألحظ ذلك .

وكان الخنجر قد انتزع من الجرح ، ووضع فى اناء زجاجى فحصه بوارو ، ثم نظر الى الجرح عن كثب . وعندما رفع رأسه كانت عيناه تلمعان بوميض الاهتمام ، وقال :

- ان هذا الجرح عجيب .. انه لم ينزف دماء ، ولا توجد بقعة واحدة من الدم على ثياب القتيل . وكذلك لا يوجد آثار دماء على نصل الخنجر ، فما رأيك فى هذا يا دكتور ؟ .

- كل ما أستطيع قوله هو أن هذا أمر عجيب .

- ليس هذا عجيبا أبدا ، وانما هو أمر بسيط جدا . ان هذا الرجل قد طعن بالخنجر

بعد أن مات . ومسيو جيرو يوافقني على هذا الرأي . أليس كذلك ؟

ومهما كان رأي جيرو الحقيقي فقد قبل الموقف بدون اعتراض . وأجاب في هدوء أقرب الى الازدراء :

- طبعا .

وصاح مسيو هوتيه :

- عجبا .. ولماذا يطعن أحد رجلا ميتا ؟ هذه وحشية بلا ريب .. معنى ذلك أنه كان مدفوعا بحقد طاغ .

- أجاب بوارو :

كلا .. وانما أقدم على ذلك لأحداث أثر بالذات .

قال بكس : - اذا كان الأمر كذلك فكيف قتل الرجل ؟

- انه لم يقتل وانما مات . واذا لم أخطئ فانه مات خلال نوبة صرع .

أحدث هذا التصريح قلقا كبيرا ، وانحنى الدكتور دوران فوق الجثة من جديد . وقال بعد فحص دقيق :

- صدقت يا مستر بوارو ، واعترف بأنني أخطأت ، وساعدني في هذا الخطأ الظن بأن الرجل قتل .

وكان بوارو بطل الساعة ، وهنأه قاضي التحقيق ، فشكره بوارو ، ثم استأذن في الانصراف لكي يستريح من عناء السفر . وبينما كنا نهم بمغادرة الكشك اقترب جيرو منا وقال بصوته المعسول الساخر :

- لا يزال هناك شئ آخر يا مستر بوارو . أننا وجدنا حول مقبض الخنجر شعرة امرأة .

قال بوارو : - آه .. شعرة امرأة .. ترى من تكون ؟

أجاب جيرو : - أنني أسأل نفسي هذا السؤال .

ثم حيانا وانصرف . وقال بوارو فى تفكير :

- ان جيرو هذا رجل ظريف حقا . اننى أتساءل الى أية ناحية يريد أن يوجهنى .. شعرة امرأة .

وبعد أن تناولنا الغداء صعدنا الى غرفة الصالون وهناك طلبت من صديقى أن يخبرنى ماذا فعل فى باريس فقال :

- بكل سرور يا صديقى .. أننى ذهبت هناك لكى أبحث عن هذه .

وأخرج من جيبه قصاصة من جريدة بها صورة امرأة وهو يقول :

- هل تعرف صاحبة هذه الصورة ؟

أحنيت رأسى ، فعلى الرغم من أن الصورة كانت قد التقطت قبل ذلك بسنوات عديدة ، وعلى الرغم من أن طريقة تصفيف الشعر كانت مختلفة ، الا أننى استطعت أن أعرف صاحبتها بسهولة ، وصحت أقول :

- أنها صورة مسز دوبريل .

هز بوارو رأسه وهو يبتسم وقال : - لست مصيبا تماما فى قولك هذا يا صديقى . لم تكن معروفة بهذا الاسم فى ذلك الوقت . هذه صورة مسز بيرولدى المشهورة .

مسز بيرولدى ! .. عاد كل شئ الى ذاكرتى فى لمح البصر .. واستعرضت فى مخيلتى جريمة القتل التى أثارت اهتمام العالم أجمع .

قضية بيرولدى .

***

قضية بيرولدى

قبل أن تبدأ قصتنا هذه بعشرين سنة انتقل مسيو بيرولدى من مدينة ليون الى باريس هو وزوجته وابنتهما الطفلة . وكان مسيو بيرولدى أصغر شريك فى شركة لتجارة النبيذ ، وكان فى الخمسين من عمره ، بدينا يحب كل ما لذ وطاب فى الحياة ، ويعبد زوجته عبادة . ولم تكن الشركة التى ينتمى اليها من الشركات الكبيرة ، ولكن على الرغم من ان أعمالها كانت فى رواج مستمر ، الا أن حصة الشريك الأصغر من الأرباح لم تكن لتفى بنفقاته ، ولهذا أقام آل بيرولدى فى مسكن صغير ، وكانت معيشتهم بسيطة فى بادئ الأمر .

ولكن اذا كان مسيو بيرولدى رجلا عاديا فقد حبت الطبيعة زوجته ، ووهبتها جمالا فائقا ، فلم تلبث أن أحدثت تأثيرا كبيرا فى الحى ، وبدأوا يتهامسون بأن هناك سرا يحيط بمولدها ، وقال البعض أنها ابنة غير شرعية لنبيل روسى كبير . وأكد البعض الآخر انها ابنة شرعية لأمير نمسوى تزوج زواجا غير متكافئ ، ولكن كل هذه القصص اتفقت حول شئ واحد هو أن جام بيرولدى كانت محور سر غامض ، ولما سئلت مدام بيرولدى لم تنكر هذه الشائعات . وأجابت بأن هناك شيئا من الحقيقة فيها ، وانها فى وضع يحرم عليها الكلام ولكنها زادت فأشارت لأخلص أصدقائها ، بأن هناك أسرارا سياسية وأخطارا غامضة تلاحقها .. وتحدثت كثيرا عن جواهر التاج التى ستباع سرا بوساطتها .

وكان بين أصدقاء آل بيرولدى محام شاب يدعى جورج بونو ، ولم يلبث أن اتضح للجميع أن جان بيرولدى الجميلة قد خلبت لبه . وقد شجعت المرأة الشابة ذلك المحامى

خفية ، مؤكدة فى نفس الوقت اخلاصها لزوجها الشيخ ، ومع ذلك فان ألسنة السوء لم تتردد عن الجهر بأن المحامي الشاب عشيق لها ، وأنه ليس الوحيد .

وبعد ثلاثة أشهر من قدوم آل بيرولدى الى باريس ، ظهر شخص آخر على المسرح. ويدعى هيرام تراب ، وهو من أصل أمريكى ، ويملك ثروة كبيرة ، لم يلبث أن وقع فى حب مدام بيرولدى ، وكان اعجابه بها واضحا على الرغم من أنه كان اعجابا مشوبا بالاحترام .

وفى ذلك الوقت كانت اعترافات مدام بيرولدى قد اتسمت بمزيد من الصراحة ، فأفضت لصديقات كثيرات بأنها شديدة القلق على زوجها ، لأنه ورط نفسه فى مسائل سياسية ، وأشارت الى مستندات على جانب كبير من الأهمية عهد بها اصحابها اليه خداعا للذين يبحثون عنها . وقالت مدام بيرولدى أنها شديدة القلق على زوجها ، لأنها عرفت فى باريس أعضاء ، كثيرين ينتمون الى جمعية فوضوية .

ووقع ما كانت تخشاه فى اليوم الثامن والعشرين من نوفمبر . فان الخادمة التى تذهب صباح كل يوم الى بيت آل بيرولدى وجدت باب المسكن مفتوحا على مصراعيه ، وسمعت أنينا صادرا من غرفة النوم ، وما أن دخلت حتى طالعها منظر رهيب ، فقد كانت مدام بيرولدى طريحة فوق الأرض موثقة اليدين والقدمين ، تطلق أنينا خافتا ، بعد أن أفلحت فى التخلص من الكمامة التى كانت تمنعها من الصياح . وكان مسيو بيرولدى طريحا فوق الفراش غارقا فى دمه ، وقد أصابته طعنة سكين فى قلبه .

وكانت قصة مدام بيرولدى واضحة جدا ، فقد قالت أنها هبت من نومها فجأة ، ورأت رجلين مقنعين ، كمماها ليمنعاها من الصياح ، ثم أوثقا يديها وقدميها ، وطلبا من مسيو بيرولدى بعد ذلك أن يطلعهما " على السر " . ولكن التاجر الشجاع رفض رفضا باتا ، فما كان من أحد الرجلين الا أن طعنه فى قلبه ، ثم أخذ مفاتيح الميت وفتح الخزانة ، وأخذ منها مجموعة كبيرة من الأوراق . وكان الرجلان ملتحيين

ومقنعين،أكدت مدام بيرولدى أنهما من الروس .

وأثارت القضية ضجة كبيرة وعرفت فى ذلك الوقت باسم " فظاعة الفوضويين " . ومر الوقت ولم يقع البوليس على أثر الرجلين الغامضين ، وبدا الاهتمام بها يخبو عندما حدثت مفاجأة ، اذ ألقى البوليس القبض على مدام بيرولدى .

وأثارت القضية اهتماما كبيرا ، وثبت عن يقين أن والدى جان بيرولدى من الناس العاديين ، وأنهما من تجار الفاكهة بمدينة ليون ، وأن كل الشائعات التى تدور حول مولدها كاذبة ، ولا اساس لها من الصحة ، كما ثبت أن المرأة استدانت مبالغ كبيرة من المال من أناس كثيرين ، واكتشف البوليس الدافع الى الجريمة ، فقد استجوبوا مستر هيرام تراب بلباقة وصراحة ، فاعترف بأنه يحب المرأة الشابة ، وأنه ما كان ليتردد عن الزواج بها لو أنها كانت غير متزوجة . واذ وجدت مدام بيرولدى أن نواياه شريفة بحيث لم يكن فى الامكان أن تغدو عشيقة ، فقد دبرت هذه الخطة البشعة لكى تتخلص من زوجها ، وتتزوج من المليونير الأمريكى .

ولكنها التزمت بأقوالها طوال التحقيق ، وظلت تؤكد أنها من دم ملكى ، وأن أبويها عهدا بها الى تاجر الفاكهة . ولكن المحققين أثبتوا العكس ، كما أثبتوا أن مدام بيرولدى هى التى ارتكبت جريمة القتل بمساعدة عشيقها . وصدر الأمر بالقبض على ذلك الأخير ، ولكن المحامى الشاب كان قد اتخذ حيطته وبادر بالفرار .

وعندما أوشكت القضية على الانتهاء ، واستلم المدعى العام خطابا جاءه من جورج بونو عن طريق البريد ، ضمنه اعترافا مفصلا ، فقال أنه هو الذى قتل مسيو بيرولدى بتحريض من زوجته ، وأنه ارتكب الجريمة بعد أن خدعته وأوهمته أن زوجها يقسو فى معاملته لها ، وأنها ستتزوجه هو بعد أن يخلو الجو ، ولكنه يسمع الآن عن هيرام تراب لأول مرة ، وأدرك من ذلك أن التى يحبها قد خدعته وأنها حرضته على ارتكاب الجريمة لكى تتخلص من زوجها ومنه هو فى نفس الوقت ، وتتزوج من الأمريكى الثرى .

واذ ووجهت مدام بيرولدى بهذا الاعتراف غيرت خطتها على الفور ، فدلت بذلك على أنها تتمتع بذكاء كبير ، فأعترفت بأن الرجلين المقنعين لا وجود لهما ، وأن جورج بونو هو القاتل الحقيقى . ولكنها لم تحرضه ، وأنه بعد أن ارتكب جريمته هددها بأن يقتلها هى الأخرى اذا تكلمت ، ولهذا آثرت الصمت حفاظا على حياتها وحياة ابنتها الطفلة .

ومع أن قصتها كانت بعيدة عن التصديق ، الا أنها عرفت بدموعها ودفاعها ورغبتها فى الاحتفاظ بسمعتها سليمة بعيدة عن أية شائبة فى سبيل حبها لابنتها عرفت كيف تؤثر فى قلوب هيئة المحلفين ، فأصدروا قرارهم ببراءتها وسط انفعال لا يوصف .

ولم يجد رجال البوليس أثرا لجورج بونو على الرغم من كل ما بذلوا من جهد . أما مدام بيرولدى فلم يسمع أحد عنها بعد ذلك ، اذ أخذت ابنتها معها ، وغادرت باريس لكى تبدأ حياة جديدة .

* * *

أبحاث أخرى

تلك هى قضية بيرولدى وقد رويتها كما وقعت . وما أن فرغت من استعادة آخر نقطة من نقاطها فى ذهنى حتى صحت أقول مخاطبا بوارو :

- اننى أهنئك يا صديقى .. أننى أعرف الآن كل شئ ..

اشعل بوارو سيجارة ، ثم رفع رأسه وقال :

- اذا كنت تعرف كل شئ كما تقول فما هو رأيك الآن ؟

- رأيى أن مسز دوبريل . أعنى مدام بيرولدى هى التى قتلت مستر رينو . أن التشابه بين القضيتين يؤكد ذلك دون أى شك .

- اذن فأنت تظن أن مدام بيرولدى برأها القضاء خطأ ..

أجبت :

- طبعا .. أليس هذا رأيك أنت أيضا ؟

- نعم .هذا رأيى طبعا . ولكن اذا أردت الدقة فأننى أعتبر مدام بيرولدى بريئة .

وجلس بوارو ونظر الى فى تفكير ثم قال : - أنت ترى اذن يا هاستنجز ان مسز دوبريل هى التى قتلت مستر رينو ؟ .

- نعم .

- لماذا ؟

تمتمت : - لماذا .. ؟ لماذا .. ؟ لأن ..

ولم أزد ، فهز بوارو رأسه وقال : - أرأيت أنك تعثرت على الفور ؟ لماذا تقتل مسز دوبريل مستر رينو . اننا لا نجد أي دافع . ثم انها لا تستفيد من موته . كان

المال هو الدافع الى الجريمة الأولى ، لأنها كانت تنوى الزواج من الأمريكى الثرى .

- ولكن المال ليس هو الدافع الوحيد لارتكاب جريمة القتل .

قال بوارو فى هدوء : - هذا صحيح .. هناك الجريمة العاطفية . ثم هناك دافع ثالث ، وهو دافع نادر الحدوث وهو القتل فى سبيل فكرة معينة ، وهو دافع يدل على وجود خلل فى قوى القاتل العقلية . ولكن يمكننا استبعاده فى هذه القضية بالذات .

- ولكن ما قولك فى الجريمة العاطفية .. ؟ هل يمكنك أن تستبعد هذه النظرية أيضا . لو أن مسز دوبريل كانت عشيقة لرينو ، ولو أنها اكتشفت أن حب هذا الأخير لها قد فتر ألا يمكن أن تكون الغيرة قد دفعتها الى ارتكاب الجريمة فى لحظة غضب ؟

- لو .. لو .. لو كانت مسز دوبريل عشيقة لرينو فانه لم يجد الوقت الكافى لكى يفتر حبها له . ثم انها امرأة لا تترك العنان لعواطفها ، ولا تعرف الغضب . ودافعها الحقيقى كان الأمريكى الثرى الذى لم تكن تحس من نحوه بأى حب . واذا ارتكبت جريمة ، فانها لا ترتكبها الا بدافع الربح . ثم كيف تفسر وجود القبر الحديث الحفر . ان هذا العمل انما هو عمل رجل .

قلت : - ربما كان لها شريك .

- ثم ان لدى اعتراضا آخر . انك ذكرت أن هناك تشابها بين الجريمتين ففيم ترى هذا التشابه يا صديقى ؟

- ولكنك أنت الذى ركزت على هذه الملاحظة يا بوارو . . أعنى الرجلين المقنعين و"السر " و " المستندات " .

- ابتسم بوارو وقال : - لا تغضب .. اننى لا أنكر شيئا مما قلت . ان التشابه فى القصتين يقرب القضيتين حتما . ولكنك ، اذا فكرت جيدا تجد أن التى تروى القصة هذه المرة ليست مسز دوبريل وانما مسز رينو ، فهل تكون متواطئة معها .. ؟ لا أعتقد ذلك .

صحت : - أنك تعرف أكثر مما تريد أن تدلى به .

- يجب أن تستنبط الحقيقة بنفسك يا صديقى . انك لا تعرف كل النقاط ، فركز خلايا مخك وفكر كما يفعل هركيول بوارو لا كما يفعل جيرو .

- وهل تعرف أنت الحقيقة يا بوارو ؟

- أننى كنت غبيا كبيرا يا صديقى ولكننى أرى الآن فى وضوح .

- وهل تعرف القاتل ؟

- أننى أعرف قاتلا .

- ماذا تعنى ؟

- أنت تتكلم بلا رابط يا صديقى . ليست هناك جريمة واحدة ، وانما جريمتان . وبهذا نجد لدينا احتمالين وقد جلوت الاحتمال الأول ، أما الثانى فاننى أعترف أننى لم أهتد اليه بعد .

- ولكن أظن يا بوارو أنك قلت أن رجل الكشك مات ميتة طبيعية ؟

أطلق بوارو صيحة تدل على العجب وقال : - ألم تفهم بعد ؟ يمكن أن تكون هناك جريمة قتل بدون قاتل ، ولكن اذا كانت هناك جريمتان فلابد من وجود جثتين .

ولم أفهم معنى قوله هذا ، وهممت بأن أتكلم عندما نهض من مقعده وقال : - ها هو مستر جاك رينو ... أننى أرسلت اليه كلمة لكى يأتى هنا .

واستقبل بوارو الشاب ببساطة كبيرة قائلا : - تفضل بالجلوس يا سيدى . يؤسفنى جدا أن أزعجك ، ولكن لعلك تفهم أن جوالفيللا لا يناسبنى أبدا ، لأننى لا أرى الأمور كما يراها جيرو . وأن معاملته لى لا تروق لى أبدا ، ولا أريد أن يستفيد من معلوماتى .

قال الشاب : - انك على حق يا مستر بوارو . ان جيرو رجل فظ ، ويسرنى أن أراك تتفوق عليه .

- هل أستطيع أن أطلب منك خدمة بسيطة ؟

- طبعا .

- أرجو أن تستقل القطار اذن الى محطة أبالاك ، وأن تستعلم فى مستودع المحطة عن رجلين غريبين تركا حقيبة هناك فى ليلة الجريمة . أنها محطة صغيرة ، وسيتذكرون الرجلين طبعا ، فهل لك أن تفعل هذا ؟

أجاب الشاب : - بكل سرور .

وقال بوارو : - رأيت أن ألجأ اليك لأنه يجب أن نذهب نحن الى مكان آخر ، وسوف ينطلق القطار بعد ربع ساعة ، فأرجو ألا تعود الى البيت حتى لا يشك جيرو فى شئ .

- حسنا يا سيدى . سأذهب الى المحطة رأسا .

ونهض ولكن بوارو أوقفه بحركة من يده وقال : - لحظة واحدة يا مستر رينو . لماذا لم تقل لمسيو هوتيه صباح أمس أنك كنت فى مرلنفيل ليلة الجريمة .. كلا ، كلا لا تحاول الانكار فان حمال المحطة قال لى أنه رآك تهبط من قطار منتصف الليل .

تردد جاك رينو لحظة ثم قال : - وماذا لو صح ذلك . لا أخالك تريد اتهامى بأننى اشتركت فى مقتل أبى ؟

وألقى بسؤاله فى تكبر وهو رافع الرأس ، فقال بوارو : - انما أود أن أعرف السبب الذى حداك الى القدوم .

- انه سبب بسيط . أننى أتيت لكى أرى خطيبتى الآنسة دوبريل ، فقد كنت مقدما على رحلة طويلة ولم أدر متى أعود وأردت أن أراها قبل أن أبحر لكى أعرب لها عن اخلاصى الشديد .

- وهل رأيتها ؟

- ولم تفارق عينا بوارو وجه الشاب . وسكت هذا الأخير سكتة طويلة قبل أن

يقول :- نعم .

- وبعد ذلك ؟

- رأيت أن آخر قطار فاتنى فمشيت على قدمى حتى محطة سنت بونيه ، ومنها أخذت سيارة أجرة الى شربورج .

- سنت بونيه .. ولكنها على بعد خمسة عشر كيلو مترا ، وهى مسافة طويلة يا مستر رينو .

- كنت .. كنت أريد أن أنسى .

أحنى بوارو رأسه متقبلا هذا التفسير ، وأخذ جاك رينو عصاه وقبعته وخرج . وما كاد يفعل حتى أسرع بوارو بالنهوض قائلا :

- اسرع يا هاستنجز . سوف نتبعه .

وتبعنا الشاب فى شوارع مرلنفيل ونحن نحرص على ألا يكشف أمرنا ، وعندما رآه بوارو يمضى فى طريقه الى المحطة قال :

- حسنا . لقد جازت عليه الخدعة وسيذهب الى أبالاك لكى يستعلم عن حقيبة وهمية ، تركها رجلان وهميان . نعم يا صديقى . لقد كانت خدعة منى لكى أتخلص منه . هلم الآن الى فيللا جنفييف .

***

جيرو يعمل

قلت لبوارو ونحن فى الطريق : - وبهذه المناسبة أريد أن أعتب عليك يا بوارو . لا ريب انك أقدمت على ما فعلت مدفوعا بنوايا حسنة ، ولكن ما كان يجمل بك أن تتحرى فى فندق الفنار بدون أذنى .

ألقى بوارو الى نظرة جانبية وقال : - أرجو معذرتك اذا كنت جرحت احساسك ، ولكن صدقنى أننى أقدمت على ذلك لصالحك ، وسوف تدرك ذلك فيما بعد . واذ وصلنا الى الفيللا لم يمض الى الكشك الذى اكتشفت فيه الجثة الثانية ، وانما مضى الى المقعد الموجود على مقربة منه ، وبعد أن تأمله لحظة خطا بضع خطوات حتى بلغ السياج الفاصل بين فيللا جنفييف وفيللا مرجريت ، وأبعد بعض الأغصان بيديه وقال:- قد يساعدنا الحظ ونجد الآنسة مارت فى الحديقة . اننى أريد أن أتحدث اليها ، ولكننى أوثر ألا أقوم بزيارة رسمية لفيللا مرجريت فى الوقت الحالى . آه .. ها هى ذى .. يا آنسة .. لحظة واحدة من فضلك .

ولحقت به فى نفس اللحظة التى أسرعت فيها الآنسة مارت اليه تلبية لندائه . وقال بوارو :

- هل تسمحين لى بأن أقول لك كلمة يا آنسة ؟

- طبعا يا مستر بوارو .

وعلى الرغم من ثبات صوتها فقد بدا الخوف والانزعاج واضحين فى عينيها . وقال بوارو :

- هل تذكرين يوم أن اعترضت طريقى بعد أن خرجت من لدنكم انا وقاضى

التحقيق .. ؟ سألتنى يومئذ اذا كان البوليس يشتبه فى أحد .

- وقد أجبتنى بأنهم يشتبهون فى رجلين من أهالى أمريكا الجنوبية .

- هذا صحيح . ولكن اذا سألتنى اليوم نفس السؤال فسيكون ردى عليه مختلفا لأن البوليس يشتبه فى شخص آخر .

- آه .. ومن هو ؟

- هو جاك رينو .

- ماذا تقول .. ؟ جاك .. ؟ هذا محال .. من الذى يشتبه فيه .

- المفتش جيرو .

امتقع وجه الفتاة وقالت : - جيرو . شدما أخاف هذا الرجل .. انه قاس جدا و ... وأمسكت وقد ارتسمت على وجهها أمارات تدل على رباطة الجأش ثم التصميم . وأدركت فى هذه اللحظة أنها تعرف كيف تواجه الأمور . وقال بوارو :

- تعرفين طبعا انه كان موجودا هنا ليلة الجريمة .

أجابت فى حركة ميكانيكية :- نعم . لقد قال لى ذلك . ولكنه برئ ولا بد لنا من انقاذه .

قال بوارو وهو ينظر اليها فاحصا : - ألا تريدين الافضاء الينا بشئ آخر .

هزت رأسها فى حيرة وقالت : - هناك شئ ولكننى لا أدرى هل تصدقه .

- تكلمى يا آنسة .

- حسنا .. لقد سألنى مسيو جيرو ان كنت أعرف الرجل الذى هناك . (وأشارت الى الكشك) . ولم أعرفه فى ذلك الوقت . ولكننى لم ألبث أن فكرت .

- حسنا .

- ان الأمر يبدو غريبا . ومع ذلك فأنى أكاد أكون واثقة . فى صباح اليوم الذى قتل فيه مستر رينو ، كنت أتمشى فى الحديقة عندما سمعت رجلين يتشاجران ، فأبعدت

الأغصان ، وألقيت نظرة الى الحديقة المجاورة . كان أحد الرجلين مستر رينو نفسه ، أما الآخر فكان متشردا يرتدى ثيابا رثة . وكان يتوسل الى مستر رينو ثم لا يلبث أن يهدده . وخيل لى أنه يطلب مالا . ونادتنى أمى فى هذه اللحظة ، واضطررت أن أعود الى البيت . هذا كل شئ ، غير أنى أكاد أكون واثقة بأن الرجل الميت الموجود فى الكشك هو ذلك المتشرد بالذات .

- ولكن لماذا لم تقولى ذلك فى حينه يا آنسة ؟

- لأن الوجه بدا لى مألوفا بعض الشئ فى بادى الأمر ، ثم ان الرجل كان مرتديا ملابس أخرى غير التى كانت عليه . ولكن قل لى يا مستر بوارو ، ألا يمكن أن يكون ذلك المتشرد قد قتل مستر رينو ، وأخذ ثيابه ونقوده بعد ذلك ؟ .

قال بوارو فى رفق : - هذه فكرة سوف أفكر فيها .

وارتفع صوت داخل البيت فى هذه اللحظة فتمتمت مارت : - هذه أمى . يجب أن أنصرف .

وأسرعت الى البيت . وأخذنى بوارو من يدى ومضينا الى الفيللا وهو يقول : - انها قصة عجيبة ، ولكننى أظن أنها لا تبعد عن الحقيقة . ان الآنسة مارت ذكرت لنا الحقيقة بخصوص نقطة أخرى ، وكذبت بذلك جاك رينو هل لاحظت تردده عندما سألته اذا كان قد رأى الآنسة دوبريل ليلة الجريمة ؟ لقد تردد قبل أن يقول نعم . وقد اشتبهت فى أنه يكذب . وكان من الضرورى أنه يرى مارت قبل أن يراها ويحذرها ، وعندما قلت لها هل كانت تعرف أن جاك كان هنا ليلة الجريمة أجابت " نعم . انه قال لى ذلك " فماذا كان يفعل جاك رينو هنا ليلة المأساة . واذا كان لم يكن قد رأي مارت فمن أى ؟

صحت مدهوشا : - لا أخالك تظن أن شابا مثله يمكن أن يقتل أباه ؟ .

أجاب بوارو : - ما زلت عاطفيا كعهدى بك يا صديقى . أننى رأيت أمهات

يقتلن أولادهن من أجل حفنة من المال ، وبعد هذا يمكن أن نعتقد كل شئ .

- والدافع ؟ .

- المال طبعا لا تنس أن جاك رينو كان يعتقد أنه سيرث نصف ثروة أبيه بعد موته .

- والمتشرد . ؟ ما دخله فى كل هذا ؟

هز بوارو كتفيه وقال : - سيقول جيرو أنه شريك .. صعلوك ساعد جاك فى قتل أبيه . ثم قتله جاك بعد ذلك .

- والشعرة التى تحيط بمقبض الخنجر ؟

قال بوارو وهو يبتسم ابتسامة كبيرة : - هذه هى الخدعة التى يحتفظ بها جيرو .. من رأيه أنها ليست شعرة امرأة ، وانما هى شعرة من رأس جاك رينو بالذات ، ولا تنس أن رينو ذو شعر طويل .

- وهل تعتقد أنت ذلك ؟

أجاب بوارو وهو يبتسم ابتسامة عجيبة : - كلا .. أنها شعرة امرأة ، ثم اننى أعرف صاحبتها .

قلت فى توكيد : - مسز دوبريل ؟

قال بوارو وهو ينظر الى متهكما : - ربما .

وسألته ونحن ندخل الفيلا :- وماذا تفعل الآن ؟

- اننى أريد أن أفتش غرفة جاك رينو .. ولهذا أردت أن أتخلص منه بعضا من الوقت .

- ولكن ألا تظن أن جيرو قد سبقك الى هذا العمل .

- طبعا .. أنه دقيق جدا فى عمله ، ولكنه لم يقم بالتفتيش على طريقتى ، وطبقا لهذه الاحتمالات فاتته أشياء كثيرة هامة .

وراح يفتح الأدراج الواحد بعد الآخر ، ويفحص كل ما فيها بدقة شديدة ، ثم يعيدها الى حالتها الأولى .. وكان عملا مملا ، ولكن بوارو قام به دون ضجر .. وفجأة سمعت صوت حديث فى الخارج ، فأقتربت من النافذة ، وما كدت أفعل حتى وقفت مصعوقا وصحت :

- بوارو .. أقبلت سيارة هبط منها جيرو وجاك رينو ورجلان من رجال الشرطة

قال بوارو مزمجرا : - يا لهذا الغبى جيرو ! .. أما كان يستطيع الانتظار حتى أفرغ من محتويات هذا الدرج الأخير ؟

وأسرع فقلب محتويات الدرج فوق الأرض وأخذ يبحث بينها ، وفيما هو يفعل أثار انتباهه قطعة من الورق المقوى ، بدت كما لو كانت صورة فوتوغرافية فدسها فى جيبه، وهو يطلق صيحة انتصار ، ثم جذبنى الى الخارج .. ووجدنا جيرو فى البهو ينظر الى أسيره .. وخاطبه بوارو قائلا :

- صباح الخير يا مسيو جيرو .. ما الخبر ؟

أومأ جيرو برأسه نحو جاك وقال : - كان يحاول الفرار ..ولكننى كنت اذكى منه . اننى ألقيت القبض عليه بتهمة قتل أبيه .

واستدار بوارو نحو الشاب ، وكان ممتقع اللون ، واعتمد بظهره على الباب ، وقال له : - ما ردك على هذا أيها الشاب ؟

نظر جاك رينو اليه فى برود وأجاب : - لا شئ .

***

أستخدام خلايا مخى

رحت أحملق فى جاك رينو فى ذهول ، فقد أبيت حتى اللحظة الأخيرة أن أصدق أن يكون هو الجانى ... وكنت أنتظر أن يحتج ببراءته بقوة عندما تحداه بوارو ، ولكنى اذ نظرت اليه ، ووجدته ممتقع اللون تنطق عيناه بالذعر لم يعد عندى أدنى شك .

ولكن بوارو تحول الى جيرو وسأله : - ما هى الدوافع التى حملتك الى القبض عليه ؟

- لعلك تظن اننى سأقول لك ذلك ؟

- نعم .. عن طريق المجاملة لا غير .

نظر جيرو اليه فى شئ من الشك .. كان موزعا بين رغبته فى أن يرد فى جفاء ، وبين سروره بالتغلب على غريمه وقال :

- لعلك تظن اننى ارتكبت خطأ .

أجاب بوارو فى شئ من الخبث : - لن يدهشنى هذا .

ازداد احمرار وجه جيرو وقال : - تعال هنا اذن ، وسوف ترى بنفسك .

وفتح باب الصالون ، ودخلنا تاركين جاك رينو فى حراسة الشرطيين .. وقال جيرو وهو يضع قبعته فوق المكتب ويتكلم فى سخرية ظاهرة :

- والآن اسمح لى يا مستر بوارو أن ألقى عليك محاضرة صغيرة عن عمل المخبر السرى .. سأريك كيف نعمل نحن الشباب .. طبعا فهمت كل شئ من أول الخطة .. كان هناك رجلان ضالعين فى الجريمة .. ولكن كانت هناك خدعة ، وهى أن الرجلين لم يكونا من الأجانب .

غمتم بوارو : - هذا محتمل يا عزيزى جيرو خصوصا بعد الخدعة التى قاما بها بعقب السيجارة وعود الثقاب .

ألقى جيرو اليه نظرة خاطفة ، ولكنه استطرد يقول : - كان لابد أن يكون هناك رجل ضالع فى الجريمة لكى يحفر القبر .. وليس هناك أى رجل يستفيد من قتل مستر رينو ، ولكن هناك رجلا كان يعتقد أنه سيستفيد من موته .. وقد علمت أن جاك رينو تشاجر مع أبيه وهدده .. ولنفحص الوسائل الآن .. كان جاك رينو فى مرلنفيل ليلة الجريمة ، ولكنه أخفى هذه الحقيقة ، فجعل الظن يتحول الى يقين .. ثم وجدنا بعد ذلك الجثة الثانية مصابة بطعنة من نفس الخنجر .. ونحن نعرف متى سرق ذلك الخنجر ، وجاك رينو هو الوحيد الذى كان باستطاعته سرقته بعد قدومه من شربورج .

قاطعه بوارو قائلا : - انك مخطئ .. هناك شخص آخر كان فى مقدوره سرقة هذا الخنجر .

- هل تعنى ستونور ؟ أنه جاء فى سيارة الى القصر مباشرة .. أوه صدقنى اننى تحققت من كل شئ .. لقد جاء مستر رينو بالقطار ، وانقضت ساعة بين وصوله وبين اللحظة التى دخل فيها البيت .. ومما لاريب فيه أنه رأى الكابتن هاستنجز ورفيقته وهما يغادران الكشك ، فتسلل خلفهما وأخذ الخنجر وطعن به شريكه .

- تعنى أنه طعن به رجلا ميتا ؟

هز جيرو كتفيه وقال : - لاريب أنه لم يدرك ذلك وأنه أعتقد أن شريكه نائم . ولا جدال فى أنهما كانا على موعد .. كان يعرف على كل حال أن الجريمة الثانية ستزيد القضية تعقيدا ، وهذا ما حدث .

- ولكن الحيلة لم تجز عليك يا مسيو جيرو ؟

- انك تسخر منى .. ولكننى سأذكر لك دليلا آخر لا يقبل أى نقض .. ان قصة مسز رينو كاذبة .. اننا نعتقد انها كانت تحب زوجها ، ولكنها كذبت مع ذلك لكى

تحمى قاتله ، فمن أجل من تكذب المرأة ؟ .. انها تكذب أحيانا من أجل نفسها ، وأحيانا من أجل زوجها ، ولكنها تكذب دائما من أجل أولادها .. هذا هو الدليل الذى لا ينقض ولا يمكنك أن تنكر ذلك .

- ولكنك تغاضيت عن شئ لم تأخذه مأخذ الاعتبار ؟

- وما هو ؟

- هو ان جاك رينو كان يعرف أن أرض الملعب فى سبيل الاعداد ، وانهم لن يلبثوا أن يكتشفوا الجثة بمجرد أن يطلع النهار .

راح جيرو يضحك فى صوت عال ثم قال : - أن ما تقول يدل على الغباء .. لقد كان يريد أن يكتشفوا الجثة بأسرع وقت ، لأنه بغير ذلك لم يكن يستطيع التدليل على أن أباه مات لكى يستطيع أن يستمتع بميراثه .

لمع وميض فى عينى بوارو وقال : - اذا كان الأمر كذلك فلماذا يدفنه ؟

لم يجب جيرو ، فقد أخذه السؤال على غرة ، ولكنه هز كتفيه دليلا على أن هذه النقطة ليس لها أية أهمية .. ومضى بوارو الى الباب ، وتوقف بعتبته وقال من فوق كتفه :

- هناك شئ آخر تغاضيت عنه ولم تحسب له حسابا .

- وما هو ؟

أجاب بوارو وهو يغادر الغرفة : - الماسورة الرصاص !

كان جاك رينو لا يزال فى بهو البيت ممتقع اللون .. ورفع عينيه عندما خرجنا ، وفى نفس الوقت سمعنا وقع أقدام على السلم ، ورأينا مسز رينو تهبط .. وعندما رأت ابنها واقفا فى حراسة شرطيين طار قلبها هلعا وقالت فى تردد .

- جاك .. ما معنى هذا ؟

رفع عينيه اليها وقد توترت عضلات وجهه وقال :

- انهم ألقوا القبض على يا أماه .

أطلقت مسز رينو صرخة عالية ، وتهاوت ووقعت على الأرض فى عنف و قبل أن يتمكن أى منا من إسعافها. .وأسرعت أنا وبوارو إليها ، وقال بوارو بعد أن فحصها:

- لقد ارتطمت رأسها بحافة السلم ، وأظن أنها أصيبت بارتجاج خفيف ، واذا كان جيرو يريد استجوابها فلابد له من الانتظار ، فقد تبقى غائبة عن الوعى أسبوعا على الأقل .

وخفت خادمتان لنجدة سيدتهما ، وخرجت أنا وبوارو .. وقال هذا الأخير ونحن نتمشى على شاطئ البحر :

- دعنا ندرس القضية من جميع وجوهها الآن يا صديقى .. انك تعرف كل شئ مثلى تماما ، ولكننى أفضل أن تهتدى الى الحقيقة بنفسك دون مساعدة منى .

وجلسنا فوق ربوة تشرف على البحر ، ورحت أقلب المسألة فى ذهنى من جميع وجوهها ، ولكن بدأ لى أن الحل الوحيد الممكن هو ذلك الذى اقترحه جيرو .. وجعلت أفكر من جديد وأدركت أخيرا أنه أن كان ولابد من ضوء فلن يكون الا عن طريق مسز دوبريل .. وكان جيرو لا يدرى شيئا عن علاقتها بقضية بيرولدى ، وقد صرح بوارو أن هذه القضية على جانب كبير من الأهمية .. وكان لابد لى أن أوجه أبحاثى وتحرياتى الى هذه الناحية .. كنت اتتبع الأثر الصحيح هذه المرة .. ولم ألبث أن أجفلت اذ خطر لى خاطر جعلنى ابنى نظرية جديدة .

ونهضت واقفا ، وأشعلت غليونى وقلت : - يبدو لى اننا أهملنا جانبا مهما من القضية .

سألنى بوارو وقد لمعت عيناه خبثا : - وما هو ؟

- جورج بونو .

***

بيان عجيب

طبع بوارو قبلتين رنانتين على وجنتى ثم قال : - أخيرا .. وصلت وحدك .. هذا رائع .. استمر فى استنتاجاتك فأنت على حق .. اننا أخطأنا كل الخطأ اذ أغفلنا جورج بونو .

استطردت أقول وقد ملأنى مراء صديقى تيها وعجبا : - لقد اختفى جورج بونو منذ عشرين سنة ولكن ليس لدينا أي دليل على أنه مات ، وسنفترض اذن أنه لا يزال على قيد الحياة .

- جميل !

- أو أنه كان على قيد الحياة الى وقت قصير .

- هذا أجمل .

- ولنفترض أن الأيام دارت به ، وأنه أصبح مجرما ومتشردا .. وقادته الصدفة الى مرلنفيل ، ورأى المرأة التى لم يكف عن حبها تعيش هنا تحت اسم مستعار .. ولكنه رأى انها اتخذت لها عشيقا جديدا هو رينو .. ويتشاجر جورج بونو مع رينو ، ثم يترصد له حتى عودته من عند صديقته ، ويطعنه فى ظهره .. ويستولى عليه الذعر عندئذ ، فيبدأ بحفر قبر له ..ومن المحتمل أن مسز دوبريل خرجت لكى تلحق بعشيقها ووجدت نفسها أمام بونو ، وتشاحنا مشاحنة عنيفة استمالها أثناءها الى الكشك حيث وقع صريعا أثر نوبة صرع .. ولنفرض أن جاك رينو ظهر فى هذه اللحظة ، وأن مسز دوبريل اعترفت له بكل شئ . وأطلعته على النتيجة التى لابد أن تصيب ابنتها لو عادت فضيحة الماضى الى الظهور من جديد .. ان قاتل أبيه مات ، ولابد لهم من بذل

المستحيل لستر الفضيحة .. ويقبل جاك رينو ، ويعود الى بيته ، ويطلع أمه على ما حدث ويكتسبها الى صفه .. ويتذكر القصة التى روتها له مسز دوبريل ، ويقنع أمه بحيث تدعه يقيد يديها وقدميها ويكمم فمها .. هذا ما حدث يا بوارو فما رأيك ؟

ونظرت اليه وقد أخذنى الزهو اذ استطعت اعادة بناء ما حدث ، ولكنه راح يتأملنى فى تفكير ثم قال أخيرا :

- أظن أنه يجب أن تكتب للسينما يا صديقى ، فان القصة التى ذكرتها لى تصلح لفيلم ناجح .. ولكن لا علاقة لها أبدا بالواقع .

- اعترف اننى لم أذكر كل الحقائق .

- بل انك فعلت خيرا من ذلك .. انك تجاهلتها يا صديقى ... وماذا عن ثياب الرجلين ؟ هل تزعم أن بونو بعد أن طعن صاحبه نضا عنه ثيابه وارتداها هو ، ثم أعاد الخنجر الى مكانه ؟

قلت فى شئ من الاستياء : - لا أرى أهمية لهذا .. لعله حصل على المال والثياب قبل ذلك خلال النهار بالتهديد .

- التهديد ؟

- طبعا .. ربما هددها بأن يكشف شخصيته الحقيقية لرينو ، وبهذا يتلاشى كل أمل فى زواج ابنتها .

- انك مخطئ يا هاستنجز .. لم يكن بمقدوره أن يهددها لأنها فى موقف أفضل منه .. ولا تنس أن جورج بونو ما زال متهما بجريمة القتل ، وكانت تكفى كلمة واحدة منها لارساله الى حبل المشنقة .

لم يسعنى الا الاعتراف بصواب رأيه وقلت : - لعل نظريتك أنت تفسر كل هذه النقاط .

أجاب بوارو فى هدوء : - ان نظريتى أنا مطابقة للحقيقة ، والحقيقة تفسر كل شئ

حتما .. ولنبدأ بأمر جورج بونو .. ان القصة التى ذكرتها مدام بيرولدى أمام المحكمة عن الروس كانت كاذبة من أساسها ، واذا كانت لم تشترك فى تنفيذ تلك الجريمة ، فلا ريب أنها هى التى خططت لها ودبرت .. أما اذا كانت بريئة ، فمعنى هذا أن جورج بونو هو الذى رسم تلك الخطة ، وفى القضية التى تشغلنا الآن نجد أمامنا نفس القصة، وكما سبق أن قلت لك لا يحتمل أن تكون مسز دوبريل قد خططت لهذه الجريمة .. وبهذا نعود الى تلك النظرية التى تقوم على أن جورج بونو هو المدبر لكل شئ ، وأنه هو الذى خطط لها مع مدام بيرولدى كشريكة له .

ولنعد الآن الى قضية رينو وندرسها نقطة نقطة .. ولنبدأ بالنقطة الأولى ، وأعنى بها التغيير المفاجئ الذى طرأ على مستر رينو بعد وصوله بقليل الى مرلنفيل ، وصداقته لمسز دوبريل والمبالغ التى دفعها لهذه الأخيرة . ومن هنا نصل مباشرة الى يوم ٢٣ مايو .

فى ذلك اليوم يتشاجر مستر رينو مع ابنه ، بعد أن أبدى له هذا الأخير رغبته فى الزواج بمارت دوبريل .. ويرحل الابن الى باريس .

فى ٢٤ مايو يغير مستر رينو وصيته تاركا كل أمواله وثروته لزوجته .

فى ٧ يونيه مشاجرة فى الحديقة مع متشرد كما تقول مارت دوبريل ، والرسالة التى كتبها الى يطلب منى فيها أن أخف الى نجدته .

والبرقية التى أرسلها الى ابنه يطلب منه فيها الابحار الى بوينس أيرس .

ثم أعطى السائق ما سترز أجازة بعد ذلك .

وتزوره سيدة فى نفس الليلة ، ويشيعها حتى الباب وهو يقول بالانجليزية " نعم ، ولكن اذهبى الان بحق الله " .

وسكت بوارو لحظة ثم قال : - هذه هى كل الحقائق يا هاستنجز ادرس كلا منها على حدة ، وأربط بعضها ببعض لعلها تلقى أضواء جديدة على القضية .

حاولت أن أفعل كما يقول .. وبعد بضع لحظات قلت فى شئ من الشك : - ولكن هل نطبق نظرية التهديد أو نظرية العشيقة ؟

- التهديد طبعا .. ألم تسمع ماذا قال ستونور عن طباع وعادات مستر رينو ؟

أجبت : - ولكن مسز رينو لم تؤكد أقواله .

- ولكن ثبت لنا أنه لا يمكن لنا أن نثق فى شهادة مسز رينو .. ولابد لنا أن نصدق أقوال مستر ستونور .

- ومع ذلك ، واذا كان رينو على علاقة بامرأة تدعى بيللا ، فليس من المستبعد أنه كان على علاقة بمسز دوبريل أيضا .

- اننى أوافقك على هذا يا هاستنجز .. ولكن هل هذا صحيح ؟

- والرسالة يا بوارو ؟ .. أنسيت الرسالة ؟

- كلا .. لم أنسها ، ولكن ما الذى يحملك على الظن الى أن تلك المرأة كتبتها لمستر رينو ؟

- ولكنها وجدت فى جيبه و ..

قاطعنى بوارو قائلا : - وهذا كل شئ .. ليس بها أى اسم ، وقد اعتقدنا انها موجهة الى القتيل لا لأننا وجدناها فى جيبه .. ولكن تذكر اننى قست المعطف الذى كان يرتديه ووجدته طويلا عليه ، واننى قست بعد ذلك معطف مستر جاك رينو ووجدته قصيرا عليه ، واذا أضفت الى ذلك حقيقة ثالثة ، وهى ان مستر جاك رينو غادر البيت على عجل لكى يلحق بالقطار ، فماذا تستنتج ؟

قلت فى بطء : - آه . لم تكن تلك الرسالة موجهة الى مستر رينو ، وانما الى ابنه جاك .. وفى سرعة هذا الأخير ولهفته لكى يلحق بالقطار ، أخطأ وأخذ معطف أبيه .

هز بوارو رأسه وقال : - تماما .. وسنعود الى هذه النقطة فيما بعد .. أما الآن فيكفى أن نعتبر أن هذه الرسالة لا شأن لها بمستر رينو الأب .. ولننتقل الآن الى

النقطة التالية .

- فى يوم ٢٣ مايو تشاجر مستر رينو مع ابنه عندما أبدى له رغبته فى الزواج بمارت دوبريل .. وسافر الابن الى باريس ، ولا أرى فى هذا الا سببا مباشرا لتغير نصوص الوصية .

- اتفقنا يا صديقى .. ولكن ما هو الدافع الذى دفع بول رينو الى تغيير وصيته بالذات ؟

نظرت اليه مدهوشا وقلت : - غضبه من ابنه طبعا .

- ولكنه كتب اليه وهو فى باريس خطابات تفيض بالحب والحنان .

- ان جاك رينو يزعم ذلك ، ولكنه لم يستطع ابراز هذه الخطابات .

- لا بأس .. لننتقل الى النقطة التالية .

- نصل الان الى يوم المأساة .. انك ذكرت أحداث الصباح بترتيب خاص ، فهل هناك سبب لذلك ؟

- اننى تأكدت أن الخطاب الذى أرسل الى وضع فى صندوق البريد فى نفس الوقت الذى أرسلت فيه البرقية الى باريس .. وبعد ذلك بقليل قيل لماسترز أن فى مقدوره أن يأخذ أجازته .. ومن رأيى أن المشاجرة مع المتشرد وقعت قبل هذه الأحداث .

- لا أدرى كيف نستطيع تحديد ذلك الا اذا سألنا مارت دوبريل من جديد ..

- لا داعى لذلك فاننى واثق مما أقول .. واذا لم تفهم ذلك فانك لا تفهم شيئا على الاطلاق .

هز بوارو رأسه وقال : - ان ذهنك يضل ويشرد .

نظرت اليه لحظة ثم قلت : - آه .. ما أغبانى حقا ! اذا كان المتشرد هو جورج بونو، فلابد أن رينو خشى على حياته بعد المشاجرة التى وقعت بينهما ... ولهذا أعطى للسائق ماسترز أجازة لأنه اشتبه فى أن يكون شريكا للآخر ، ثم أرسل برقية

الى ابنه ورسالة اليك .

ارتسمت ابتسامة خافتة على شفتى بوارو وقال : - ألا تستغرب أنه استخدم فى رسالته نفس العبارة التى استخدمتها مسز رينو فى قصتها بعد ذلك اذا كانت كلمة سنتياجو خدعة ، فلماذا ذكرها رينو ؟ بل الأكثر من هذا لماذا أرسل ابنه اليها ؟

- اعترف بأن هذه النقطة تثير الحيرة وقد نجد لها تفسيرا فيما بعد . ولكن لننتقل الآن الى زيارة السيدة الغامضة ، واعترف اننى فى شدة الحيرة ، الا اذا كانت تلك السيدة هى مسز دوبريل كما تزعم فرانسواز .

هز بوارو رأسه وقال : - ان ذهنك يضل ويشرد يا صديقى .. لا تنس قصاصة الشيك ، وان اسم بيللا دوفين كان مألوفا بعض الشئ لستونور .. اننى أعتقد أن بيللا دوفين هو اسم السيدة التى كتبت تلك الرسالة لجاك ، وانها هى التى ذهبت تلك الليلة الى فيللا جنفييف ... ذهبت اليها لكى ترى جاك ، أو لكى تتحدث الى أبيه ، وأظن اننا نستطيع أن نخمن ما حدث على الصورة التالية .. انها أبرزت لبول رينو الخطابات التى كتبها جاك لها ، فقدم لها الأب شيكا لكى يشتريها منها ، ولكنها مزقته غاضبة ..ان خطابها يدل على أنها تحب جاك حقا ، ولا ريب أنها جرحت فى كبريائها ، وهى ترى أباه يحاول شراءها ..وقد تخلص رينو منها أخيرا وهو يقول لها " نعم ، نعم، ولكن اذهبى الآن بحق الله " .. فقد كان من الضرورى أن تنصرف لا لأن وجودها كان بغيضا ، ولكن لأن الوقت كان ثمينا بالنسبة له كما يبدو من الساعة اليدوية التى تحطم زجاجها ، فاننا نقترب الآن من المأساة الحقيقية ، فقد كانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف عندما انصرفت بيللا دوفين .. وبفضل الساعة نعرف أن الجريمة ارتكبت أو أعد ارتكابها قبل منتصف الليل .. والآن تبقى نقطة واحدة ، وهى أن شهادة الطبيب الشرعى تثبت أن المتشرد كان ميتا قبل ذلك بثمان وأربعين ساعة ، وبهذا أستطيع القول أن موت المتشرد قد حدث فى صباح السابع من يونية لأن منطق

الأحداث يؤكد ذلك ، وها أنا قد مضيت بك فى الطريق خطوة خطوة . والحقيقة تسطع الآن لكل ذى عينين .

- انك أبغض رجل عرفته فى حياتى يابوارو .. إذا كان الأمر كما تقول فأسرع وقل لى من الذى قتل مستر رينو ؟

- أما هذا فشىء لم استطع التأكد منه بعد .

- ولكنك قلت لتوك الآن أن الحقيقة تسطع لكل ذى عينين .

- ان كلا منا يتكلم فى اتجاه معاكس ياصديقى .. ولاتنس اننا نقوم بالتحقيق فى جريمتى قتل ، ويجب أن نطبق علم النفس لتفسيرهما ... وبهذا نجد أنفسنا أمام ثلاث نقاط تسببت فى تغيير طارىء على تصرفات مستر رينو .. وأول هذه النقاط حدثت بعد قدومه إلى مرلنفيل مباشرة ، والثانية بعد مشاجرته مع ابنه ، والثالثة فى صباح ٧ يونية .. ويمكننا أن نربط النقطة الأولى بمقابلته لمسز دوبريل ، والنقطة الثانية تخص مسز دوبريل أيضا بطريق غير مباشر ، لأنها تتعلق بالزواج بابنتها وابن مستر رينو .. ولكن سبب النقطة الثالثة لايزال خافيا علينا ، ويجب أن نعرفه عن طريق الاستنتاج ، ولهذا أرجو أن تسمح لى أن ألقى عليك سؤالا .. من تظن أنه خطط لهذه الجريمة ؟

قلت دون تردد وأنا أنظر إلى بوارو فى حذر :- جورج بونو .

- تماما .. وجيرو يؤكد أن المرأة تكذب لكى تنجو بجلدها ، ولكى تنقذ الرجل الذى تحبه ، أو لكى تنقذ ابنها .. ومادام لدينا من الأسباب مايحملنا على الاعتقاد بأن جورج بونو هو الذى أملى عليها أن تكذب ، وحيث أن جورج بونو ليس هو جاك رينو ، فينتج عن هذا أن نستبعد النظرية الثالثة .. وإذا نسبنا الجريمة إلى بونو فلابد من استبعاد النظرية الأولى كذلك .. وبهذا نضطر إلى مواجهة النظرية الثانية ،أى ان مسز رينو كذبت لكى تنقذ الرجل الذى تحب أى جورج بونو ، فهل توافقنى على ذلك ؟

- نعم .. هذا يبدو منطقيا .

- حسنا .. كانت مسز رينو تحب جورج بونو ، فمن هو جورج بونو إذن ؟

- المتشرد ؟

- هل هناك أى دليل على أن مسز رينو كانت تحب المتشرد .

- كلا .. ولكن .

- حسن جدا .. لاتتعلق إذن بنظريات لاتؤيدها الحقائق ، وسلنى من كانت مسز رينو تحب .

هززت رأسى محيرا فقال :- نعم ، نعم .. انك تعرف ذلك تماما .. من الذى كانت مسز رينو تحبه كل الحب بحيث فقدت رشدها أمام جثته ؟

حدقت فيه فى صمت ودهشة ثم صحت :- زوجها .

هز بوارو رأسه وقال :- نعم .. زوجها ، أو جورج بونو .

صحت غير مصدق :- ولكن هذا مستحيل .

- مستحيل ؟ .. وكيف هذا ؟ ألم نتفق منذ لحظة . أن مسز دوبريل كانت تهدد جورج بونو ؟ - نعم ، ولكن ..

- ألم تهدد مستر بونو فعلا ؟

- نعم .. ولكن ..

- أليس صحيحا أننا لانعرف شيئا عن شباب مستر رينو ، وأنه ظهر فجأة كمواطن كندى فرنسى منذ ثلاثة وعشرين عاما ؟

- كل هذا صحيح .. ولكن يبدو انك نسيت نقطة هامة . - وماهى ؟

- ذلك انك افترضت أن جورج بونو هو الذى خطط للجريمة ، وبهذا نجد أنفسنا أمام نظرية سخيفة تقوم على أنه هو الذى دبر لكى يقتل نفسه .

قال بوارو فى هدوء :

- وهذا ماحدث ياصديقى .

هركيول بوارو ويتابع القضية

بدأ بوارو بيانه فقال :- انك تجد أن من العجيب أن يدبر المرء مقتله بالذات ، ويبدو الأمر عجيبا حقا انك تأبى أن تتقبله ، فتبنى قصة أخرى أكثر عجبا .. نعم ياصديقى ، ان مستر رينو دبر مقتله بالذات ، ولكن فاتتك نقطة ، وهى أنه لم يكن ينوى أن يموت .

هززت رأسى وأنا فى غاية من الدهشة ، فى حين هز بوارو رأسه واستطرد يقول :

- نعم أن الأمر بسيط جدا . لم تكن هناك ضرورة لوجود قاتل لما كان رينو ينوى عمله ولكن كانت هناك ضرورة ماسة لوجود جثة . ولننظر إلى القصة من جديد على أن نواجه الأحداث من وجهة نظر مختلفة .

هرب جورج بونو من العدالة وفر إلى كندا ، وهناك يتزوج باسم مستعار ، ويحصل على ثروة كبيرة فى أمريكا الجنوبية . ولكنه يشعر بالحنين إلى وطنه الأول ، خاصة وأنه انقضت عشرون سنة ، وتغيرت ملامحه إلى حد كبير ، وأصبح رجلا مشهورا ، بحيث لن يخطر لأحد أن يجمع بينه وبين المتهم الذى هرب منذ عشرين سنة . ويرى أن فى مقدوره أن يعود إلى فرنسا دون أن يخشى شيئا ، ولكن يستقر به المقام فى انجلترا ، ويقرر قضاء مواسم الصيف فى فرنسا ، ويقوده سوء الحظ وذلك القدر الغريب الذى لايرضى أن يهرب امرؤ من عواقب عمله إلى مرلنفيل ، حيث يقع على الشخص الوحيد الذى يستطيع التعرف عليه . وهذا الشخص هو مسز دوبريل التى تجدها فرصة سانحة لكى تستفيد منها .. أنه فى قبضتها فعلا ، وتستنزف أمواله كما تريد .

ثم يقع المستحيل فيحب جاك رينو الفتاة التى يراها كل يوم تقريبا . ويريد ان يتزوجها . ويثير ذلك غضب أبيه ، ويحاول بكل الطرق ان يمنع زواج ابنه من ابنة تلك المرأة المجرمة . وجاك رينو لا يعرف شيئا عن ماضى أبيه ، ولكن مسز رينو تعرف كل شئ . أنها امرأة قوية الشكيمة ومخلصة لزوجها إلى أبعد الحدود . ويتشاور الزوجان . ولايرى رينو إلا طريقة واحدة للخلاص ، وهى أن يوهم الجميع بأنه مات ثم يهرب إلى بلد آخر ، يبدأ فيها حياته من جديد باسم جديد ، وتلحقه فيه مسز رينو بعد أن تقوم بدور الأرملة الحزينة بعضا من الوقت . ولما كان من الضرورى أن تكون ثروته تحت تصرفها فإنه يغير وصيته . ولاأدرى إذا كانا قد دبرا قصة الجثة فى بادىء الأمر ، ولكنى أظن أنهما كانا ينويان الاستعانة بهيكل عظمى أو بحريق أو بأى شىء آخر . ولكنهما قبل أن يفرغا نهائيا من مشروعهما ، ودخل متشرد الحديقة ، وهذا المتشرد رجل فظ عنيف ويقع بينهما شجار ، ويحاول فيه رينو أن يطرده خارج الحديقة . ولكن المتشرد يقع فجأة على أثر نوبة من الصرع ويموت . ويستدعى رينو زوجته ويجرانه معا إلى الكشك ، وهما يحمدان حسن حظهما . ولكن الرجل لايشبه مستر رينو إلا أنه كان متقدما فى السن وفرنسى المظهر وكان فى هذا الكفاية .

وأظن أنهما جلسا على المقعد أمام البيت وراحا يناقشان المسألة . وأعدا خطتهما على الفور . وكان يجب أن يقوم التعرف على الجثة على شهادة مسز رينو فحسب ولهذا كان لابد لهما من التخلص من جاك رينو ومن السائق الذى ألتحق بخدمتهما منذ سنتين ، ولم يكن من المحتمل أن يقترب الخدم من الجثة . وأرسل إلىّ خطابا حتى إذا أتيت استطعت أن أظهر الخطاب ليكون حجة قوية أمام قاضى التحقيق ، وهذا هو نفس ماحدث .

وألبسا جثة المتشرد بذلة خاصة برينو ، وتركا ثيابه الرثة بجوار باب الكشك اذ لم يجرؤ على أخذها الى القصر . ولكى تبدو القصة التى سترويها مسز رينو أقرب الى

الحقيقة ، طعنا الجثة بخنجر فى القلب . وفى نفس الليلة يقيد رينو يدى وقدمى زوجته، ثم يأخذ معولا ويحفر حفرة فى أرض الملعب ، وهو يعرف أنهم سوف يكتشفون الجثة سريعا . وكان لابد من اكتشاف الجثة لأنه كان لا يحب أن يرقى الشك الى مسز دوبريل . وكان يجب أن يرتدى رينو اسمال المتشرد بعد ذلك ، وأن يمضى الى المحطة ، ويسافر فى قطار منتصف الليل ، دون أن يلفت اليه الأنظار . وما دام المفروض أن المحققين سيعتقدون أن الجريمة قد وقعت بعد ذلك بساعتين ، فقد كان من المستحيل أن يشتبه فيه أحد .

ولعلك تفهم الآن مدى استيائه أمام زيارة الفتاة المدعوة بيللا ، فان كل تأخير كان جديرا بافساد الخطة . ولكنه يتخلص منها بأسرع ما يستطيع ، ويترك الباب العمومى مفتوحا لكى يبدو أن القاتل هرب من هذه الناحية ، ثم يقيد يدى زوجته وقدميها ، ويقوم بعد ذلك بكل الخطوط التى رسم لها وخطط ، ويأخذ معولا ويمضى الى أرض الجولف ويبدأ الحفر .. وبعد ذلك ؟

قال بوارو فى صوت هادئ : - فاجأته بعد ذلك العدالة التى ظل هاربا منها حتى ذلك الوقت ، وطعنته يد خفية من الخلف . هل فهمت الآن يا هاستنجز ما كنت أعنى عندما تحدثت عن جريمتين . الجريمة الأولى التى استنجد بى لكى أجلوها له ، وقد جلوتها الآن تماما . ولكن يختفى خلف تلك الجريمة سر من العسير كشف غوامضه لأن المجرم كان ذكيا ، واكتفى بأن استخدم نفس الوسائل التى أعدها رينو .

قلت فى اعجاب :

- انت مدهش يا بوارو .. مدهش جدا .. لا أحد غيرك كان يستطيع أن ينجح .

وأظن أنه اغتبط لمديحى فقد بدا عليه الارتباك لأول مرة فى حياته .. وقال :

- ألم تعد تسخر من صديقك العجوز بوارو .. ؟ انك اعدت اليه تقديرى الذى كنت قد نقلته الى ذلك الكلب البوليسى الآدمى .

ابتسمت ازاء وصفه لجيرو وقلت :

- انك تغلبت عليه تماما

قال وهو يحاول أن يتظاهر بالتواضع :

- مسكين جيرو انه ليس غبيا ، ولكن سوء الحظ لازمه مرة أو مرتين مثال ذلك تلك الشعرة الملفوفة حول مقبض الخنجر .

- الحق يا بوارو أنى مازلت لا أعرف لمن هذه الشعرة .

- لمسز رينو طبعا لقد لعب سوء الحظ دوره فى هذه النقطة ، فان شعرها أسمر أصلا ودخله الشيب ، الا بضع شعيرات ، وشاء القدر أن تكون هذه الشعرة من بينها كان جيرو قد بنى نظريته على أن جاك رينو هو الذى قتل أباه ولهذا فأنه أقنع نفسه بأن تلك الشعرة له ومما لا ريب فيه أن مسز رينو ستتكلم عندما تعود الى رشدها . لأن احتمال اتهام ابنها بقتل أبيه لم يخطر ببالها أبدا ، وليس هذا غريبا لأنها كانت تعتقد أنه على الباخرة أنزورا فى عرض البحر . آه .. يا لهذه المرأة يا هاستنجز ؟ أنها لم ترتكب غير هفوة واحدة ، فقد قالت عندما عاد جاك فجأة " ليس لهذا أهمية الآن على كل حال " . تصور صدمتها عندما ذهبت لكى تتعرف على الجثة ووجدت بدلا من جثة المتشرد جثة زوجها الذى كانت تظن أنه أصبح على بعد كيلو مترات من مرلنفيل ولكنها منذ تلك اللحظة ، وعلى الرغم من حزنها ومن القلق الذى أخذ يساورها قامت بدورها على أكمل وجه .

لم تكن تستطيع أن تدلى لنا بما يهدينا الى أثر القتلة الحقيقيين ، وكان يجب ألا يعرف أحد أن بول رينو هو المجرم جورج بونو ، وذلك حفاظا على مصالح ابنها . وما كان أشجعها أخيرا وهى تعترف علانية أن مسز دوبريل كانت عشيقة لزوجها . لأن أية اشارة الى التهديد كانت جديرة بافشاء سرها . نعم . انها امرأة فذة يا صديقى واذا كانت قد أحبت مجرما فانها أحبته على الأقل كل الحب .

- كلمة أخيرة يا بوارو وما الغرض من الماسورة الرصاص ؟ .

- ألم تفهم بعد ؟ لكى تستخدم فى تشويه وجه القتيل حتى يتعذر التعرف عليه . ان هذه الماسورة هى التى هدتنى الى الأثر الصحيح منذ البداية ، فى حين أن ذلك المغفل جيرو أضاع وقته فى الاهتمام بعقب السيجارة وعود الثقاب .

وفى هذه اللحظة بدت لى القضية من زاوية أخرى مختلفة ، فى حين استطرد بوارو يقول :

- ولكن لابد لنا أن نبدأ من جديد . من الذى قتل مستر رينو .. ؟ شخص كان موجودا على مقربة من الفيللا فى تلك الليلة ويستفيد من موته . وهذا الوصف لا يتفق الا على جاك رينو ربما لم يتعمد ارتكاب الجريمة .. ثم هناك الخنجر .

سرت فى بدنى الرعشة لأننى كنت نسيت هذه النقطة وقلت : - ان الخنجر الذى طعن به المتشرد هو خنجر مسز رينو بالطبع . ومعنى هذا أن هناك خنجرين .

- طبعا .. وحيث أنهما يتشابهان ، فمن الواضح أن جاك رينو هو صاحبهما . والواقع أن لدى فكرتى فى هذه النقطة ، بل أن أخطر اتهام يمكن أن نوجهه اليه هو اتهام من الناحية النفسية ، وأعنى به الوراثة ، فان الولد سر أبيه ، وجاك رينو انما هو ابن جورج بونو

- وما هى تلك الفكرة التى تتكلم عنها ؟

وكان رد بوارو أن نظر الى ساعته وقال يسألنى : - متى تغادر باخرة بعد الظهر ميناء كاليه ؟

- فى الساعة الخامسة . لماذا ؟ .. هل تذهب الى لندن .. ؟

- نعم يا صديقى .

- ولماذا ؟

- لكى أبحث عن شاهد

- ومن هو . ؟

أجابنى بوارو وهو يبتسم ابتسامة ساخرة : - بيللا دوفين .

- ولكن كيف ستجدها .. ؟ وماذا تعرف عنها .. ؟

- اننى لا أعرف عنها شيئا ، ولكن فى مقدورى أن أخمن الكثير . يمكننا أن نفترض من أنها تدعى بيللا دوفين ، وما دام هذا الاسم يبدو مألوفا شيئا ما لمستر ستونور فمن المحتمل أنها ممثلة .. وجاك رينو شاب ثرى ، وعمره عشرون سنة ، ومن المحتمل أنه التقى بحبه الأول فى دنيا المسرح . وهذا يفسر فى نفس الوقت لماذا حاول مستر رينو تملق هذه المرأة بشيك . ومن رأيى أننى لن أجد صعوبة فى الاهتداء اليها اذا ما استعنت بهذه .

وأخرج من جيبه الصورة التى رأيته يأخذها من درج جاك رينو ، وكان مكتوبا على جانب منها . " مع حب بيللا " . ولكن هذه الكلمات لم تلفت نظرى . لم يكن الشبه تماما ، ومع ذلك فقد بدا لى عجيبا ، وأحسست بقلق شديد كما لو أن كارثة قد حلت بى .

فقد كان الوجه الذى فى الصورة وجه سندريللا .

* * *

أنا والحب

أحسست بالبرودة تسرى فى كيانى لحظة ، ولكننى أعدت الصورة لبوارو ، وأنا أحاول التغلب على القلق الذى يعصف بى . ولا أدرى أن كان بوارو قد لحظ ما اعترانى أم لا . ولكنه نهض وهو يقول :

- لا يجب أن نضيع دقيقة واحدة . هلم بنا الآن . كل شئ على ما يرام والبحر هادئ .

وبلغنا لندن دون أى حادث وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساء وكنت أظن ان بوارو سينتظر حتى صباح اليوم التالى لكى يبدأ أبحاثه ولكنه قال لى :

- ان خبر القبض على جاك رينو لن يظهر فى الجرائد الانجليزية الا بعد غد يا صديقى ، ولكن لا يجب مع ذلك أن نضيع الوقت . هل تتذكر الوكيل المسرحى المعروف باسم جوزيف آرونز .. ؟ كلا .. أننى ساعدته فى البحث عن مصارع يابانى ، وهى مشكلة صغيرة سأرويها لك ذات يوم .. ولاريب أنه سيستطيع مساعدتى بدوره .

واستقبل مستر آرونز بوارو استقبالا حارا ، وقال ردا على سؤال المخبر السرى :

- بيللا دوفين .. ؟ اننى أعرف هذا الاسم ، ولكننى لا أدرى أين سمعت به .. ماذا تفعل .. ؟

أجابه بوارو : - لا أدرى .. ولكن هذه صورة لها .

وما كاد مستر آرونز يرى الصورة ، حتى ضرب بيده على فخذه ، وصاح يقول ، أننى أعرف من هى .. أنها احدى ثنائى معروف باسم " دولسيبيللا " . أنهما أختان تقومان بالعاب بهلوانية يتخللها الرقص والغناء ، وهما ناجحتان تقدمان نمرتهما فى

الريف حاليا ، الا اذا كانتا تخلدان الى الراحة لأنهما فرغا من تقديم العابهما فى باريس .

- هل يمكنك أن تدلنى على مكانهما ؟

- ليس هناك أسهل من ذلك .. سأبعث لكما بالنبأ غدا صباحا فى مسكنكما .

وكان عند وعده فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى جاءتنا منه كلمة كتبها على عجل هذا نصها :

" الاختان دولسيبيللا تقدمان نمرتهما فى مسرح بالاس بكوفنترى " .

وسافرنا الى كوفنترى على الفور ، ولم يحاول بوارو الاستعلام فى المسرح ، وانما حجز تذكرتين فى المقاعد الأمامية لحفلة المساء .

وبدا لى البرنامج مملا بصورة فظيعة ، أو لعل ذهنى المضطرب هو الذى جعلنى أشعر بهذا الاحساس ، فقد بدأت بعض اليابانيات بتقديم رقصات وطنية ، وتبعهن بعض الرجال الذين يرقصون رقصات رائعة وهم يقدمون بعض المنولوجات ، ثم غنت بعض المطربات أغانى عادية لم تصادف نجاحا ، وحاول أحد المهرجين تقليد بعض الشخصيات الهامة ولكنه أخفق .

وكان الدور بعد ذلك على الاختين دولسيبيللا . وخفق قلبى خفقانا شديدا . نعم . ها هى .. بل ها هى ... بل هما معا . احداهما شقراء والأخرى سمراء ، متساويتا القامة ، ترتدى كل منهما جونلة منقوشة وتضع كل منهما زهورا كبيرة فى شعرها وبدتا أشبه بطفلتين مثيرتين . وبدأتا الغناء وكان صوتهما جميلا عذبا .

وكانت نمرتهما جميلة جدا ، ورقصتا رقصا بديعا ، وقامتا ببعض الألعاب البهلوانية الناجحة ، وعندما أسدلت الستار قوبلتا بعاصفة من التصفيق والهتاف .

وأحسست فجأة بأننى لن أستطع البقاء فى الصالة لحظة أخرى . وكان لابد لى من أن أشم الهواء فاقترحت على بوارو أن ننصرف ولكنه قال لى :

- اذهب أنت يا صاحبى اذا أردت . أما أنا فان البرنامج يستهوينى وسأبقى حتى النهاية .

ولم يكن الفندق الا على بعد خطوات من المسرح . ومضيت الى الصالون ، وطلبت كأسا من الويسكى والصودا ، ورحت اشرب وأنا أفكر ، وسمعت الباب يفتح فظننت أن بوارو عاد ، وأدرت رأسى ثم وثبت واقفا مرة واحدة فقد كانت سندريللا واقفة بالباب . وتكلمت فى تردد وهى تأخذ أنفاسها فى صعوبة وقالت :

- أنى رأيتك فى المقاعد الأمامية أنت وصديقك . وعندما خرجت أنت ، كنت أنا بالخارج وتبعتك . لماذا أتيت هنا الى كوفنترى ؟ ... وهل الرجل الذى معك هو المخبر السرى الذى تتحدث عنه ؟

كانت تقف بعتبة الباب ، وقد أنزلق المعطف الذى القته فوق ثوبها المسرحى عن كتفيها ، ورأيت وجنتيها الشاحبتين تحت الأصباغ ورأيت الرعب فى عينيها ، وأدركت فى هذه اللحظة بالذات لماذا يبحث بوارو عنها . وعرفت قلبى أخيرا فقلت فى رفق :

- نعم .

تمتمت تقول فى صوت خافت :

- وهل يبحث عنى أنا ؟

واذ لم أجبها على الفور تهالكت على الأرض بجوار مقعدى وراحت تبكى بحرقة .

وجثوت بجوارها ، وأخذتها بين ذراعى ، ومررت بيدى على شعرها فى رفق وأنا أقول :

- لا تبكى يا حبيبتى . انك فى أمان هنا . سوف أحميك . لا تبكى يا عزيزتى . اننى أعرف كل شئ .

- أوه .. كلا .

- بل أعرف كل شئ .

وأردفت أقول بعد لحظة عندما هدأت بعض الشئ :

- انت التى أخذت الخنجر ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- لهذا السبب أردت أن ترى كل شئ ، وتظاهرت بأنك موشكة على الاغماء .

أومأت برأسها بالايجاب ، ولم تنطق فقلت :

- ولماذا أخذت الخنجر ؟

- لأننى خشيت أن يكون عليه بصمات .

- ولكن هل نسيت أنك كنت تلبسين قفازا .

نظرت الى فى ذهول لحظة ثم قالت فى بطء :

- هل .. هل ستسلمنى للبوليس ؟

- كلا طبعا .

- ولماذا ؟

ولم يكن المكان ولا اللحظة بمناسبين لكى أبوح لها بحبى ، والله وحده يعلم أننى لم أتصور أبدا أن أكتشف الحب الحقيقى بهذه الصورة . ومع ذلك فقد أجبت بكل بساطة وبهدوء تام :

- ذلك لأننى أحبك يا سندريللا .

أحنت رأسها تحت وطأة العار وتمتمت فى صوت متقطع :

- لا يمكنك ان ... لا يمكنك ان .. لو تعرف .. ثم تمالكت وحدقت فى وقالت :

- ولكن ما الذى تعرفه ؟

- أعرف انك ذهبت لزيارة مستر رينو فى تلك الليلة ، وأنه عرض عليك شيكا مزقته غاضبة ثم غادرت البيت .

وأمسكت فقالت :

- استمر ... استمر ...

- ولا أدرى هل كنت تعرفين ان جاك سيعود تلك الليلة ، أو انك انتظرت على أمل رؤيته ، ولعلك أحسست بانك تعيسة ، وأخذت تتمشين دون هدف . ومهما يكن فانك كنت لا تزالين هناك قبل منتصف الليل بقليل ورأيت رجلا يحفر فى أرض الملعب.. وأمسكت عن الكلام مرة أخرى ، وقد وضحت لى الحقيقة فى لمح البصر فقد تذكرت الشبه العجيب الذى جعلنى أعتقد أن الميت قد عاد الى الحياة عندما رأيت ابنه يندفع داخل الصالون ، وقالت الفتاة فى تصميم :

- استمر .

- أظن أنه كان يوليك ظهره ، وخيل لك انك تعرفينه ، أو انك تعرفين معطفه . وقد قلت لى ونحن فى القطار ان دما ايطاليا يجرى فى عروقك ، وان ذلك سبب لك مشاكل كثيرة ، وكنت قد هددت جاك فى احدى رسائلك وعندما رأيته واقفا يوليك ظهره فى أرض الملعب أعماك الغضب وأضاعت الغيرة عقلك فطعنته ، ولا أعتقد لحظة واحدة يا سندريللا انك أردت قتله ولكنك قتلته .

ودفنت وجهها بين يديها وقالت :

- أنت على حق .. وأنت تحبنى ؟ ... ولكن كيف تحبنى وأنت تعرف ما تعرفه ؟

قلت فى اعياء :

- لا أدرى . ولعل هذا هو الحب الذى يتكلمون عنه انه شئ لا قبل لنا عليه ، وقد حاولت ألا أحبك منذ أول يوم رأيتك فيه ، ولكن الحب كان أقوى منى .

وعلى غير ما اتوقع انهارت نهائيا فوق الأرض وراحت تبكى وتقول :

- أوه ، اننى لا أستطيع . لا أدرى ماذا أفعل ولا أين اذهب . أوه ... حنانك ياربى ... ماذا أفعل ؟

جثوت بجوارها وأخذت أهدئ من روعها بقدر ما أستطيع وأنا أقول :

- لا تخافى منى يا بيللا . اننى أحبك ، ولكننى لن أطلب منك شيئا مقابل ذلك . دعينى أحبك فحسب . أما أنت فابق على حبك للآخر ، اذا كان ولابد من ذلك .

وكأنها تحولت الى حجر ، وهى تسمع كلماتى هذه . ولكنها لم تلبث ان رفعت رأسها ، وحدقت فى قائلة :

- هل تظن ذلك ؟ .. هل تظن اننى أحب جاك رينو ؟

ثم راحت تبكى وتضحك فى آن واحد ، وألقت بذراعيها حول عنقى ، وضغطت بوجهها المبلل بالدموع على وجهى وقالت :

- ولكننى لا أحبه كما أحبك أنت ... ولن أحبه أبدا بقدر ما أحبك أنت .

وسمعنا حركة بالباب ، فالتفتنا اليه واذا ببوارو واقف ينظر الينا فلم أتردد ، وأسرعت اليه ، وشللت حركته وقلت أخاطب الفتاة :

- أسرعى .. أهربى ... أهربى حالا ... سأعوقه عن الحركة .

ألقت الفتاة الى نظرة أخيرة ، ثم أسرعت بالفرار ، وابتسم بوارو وقال :

- أنك رجل قوى يا صديقى ، ولم تكن بحاجة الى اظهار قوتك هكذا . لنجلس فى هدوء .

- ألن تطاردها ؟

- كلا يا صديقى .. هل تحسبنى جيرو ؟ ... ولكن دعنى وأسمح لى أن أقول لك أنك أقدمت على عمل غير لائق مع طديق قديم لك . اننى أريتك صورة الفتاة ولكنك لم تنطق بكلمة .

قلت فى صوت مرير :

- لم يكن هناك داع لذلك ، لو انك كنت تعرف اننى عرفتها .

وهكذا لم أخدع بوارو لحظة واحدة كما تصورت . وقال :

- ثم انك ساعدتها على الفرار اليوم بعد ان بذلنا كل هذا الجهد فى البحث

عنها ... فما معنى هذا ؟ .. هل تعمل معى أم ضدى يا هاستنجز ؟

لزمت الصمت لحظة . وقد أحسست بحزن عميق لقطع علاقتى بصديقى الحميم ، رمع ذلك فقد كان لابد لى من اتخاذ قرار حاسم ، وتساءلت هل يغفر لى أبدا . كان قد أبدى هدوءا كبيرا حتى هذه اللحظة ولكننى كنت أعرف انه يملك أعصابا من فولاز ، وقلت اننى آسف جدا على ما بدر منى يا بوارو ، واعترف أنى سلكت معك فى هذه القضية مسلكا غير سليم . ولكن الانسان ليس مخيرا فى بعض الأحيان ، ولابد لك أن تترك لى حرية التصرف مستقبلا .

هز بوارو رأسه مرارا عديدة وقال فى اخلاص وطيبة أثارتا دهشتى :

– اننى أفهم ... ذلك انك وقعت فى الحب أخيرا يا صديقى ... وقعت حتى أذنيك ، ولكن تذكر اننى حذرتك عندما أدركت ان هذه الفتاة قد أخذت الخنجر .. ولكن كان الوقت قد فات لمثل هذا التحذير ... وعلى كل حال أرجو أن تقول لى .. ماذا تعرف ؟ قابلت نظرته فى ثبات وقلت :

– لا شئ مما يمكن أن تقول لى سيسبب لى أية دهشة يا بوارو . ولكن أرجو أن تفهم هذا جيدا . اذا حاولت أن تبحث عن مس دوفين ثانية فأننى أريدك أن تفهم شيئا بكل وضوح . اذا كنت تظن أنها اشتركت فى الجريمة ، أو أنها هى السيدة التى زارت مستر رينو فى تلك الليلة فأنت مخطئ . لأننى سافرت معها فى نفس اليوم عائدا من فرنسا الى انجلترا . وفارقتها ليلا فى محطة فيكتوريا ، بحيث يستحيل عليها أن تكون فى مرلنفيل فى تلك الليلة . قال بوارو وهو يتأملنى لحظة :

– آه ... هل أنت مستعد على أن تقسم على ذلك فى المحكمة .

– طبعا . نهض بوارو وحيانى قائلا :

– يحيا الحب يا صديقى . انه يقوم بمعجزات لأن ما ذكرته الآن عجيب ، ويثير حيرة هركيول بوارو نفسه .

صعاب فى الأفق

بعد أن مرت لحظة التوتر التى وصفتها جاء رد الفعل فأويت الى فراشى وأنا فى زهوة الانتصار ولكننى عندما استيقظت رأيت مدى الورطة التى تورطت فيها . صحيح اننى قدمت دليلا ينفى التهمة عن بيللا ويثبت وجودها فى مكان آخر ليلة الجريمة ولكن كان من السهل لرجال البوليس دحض هذا الدليل والتأكد من عدم جديته .

وأجتمعنا على مائدة الافطار ، أنا وبوارو ، فى صباح اليوم التالى ولم يشر أى منا الى ما حدث بالأمس . وبعد أن فرغنا من الطعام أطلعت بوارو على رغبتى فى القيام بجولة ولكنه نظر الى فى خبث وقال :

– اذا كنت تريد أن تذهب للاستعلام فلا داعى لأن تزعج نفسك يا صديقى لأننى أستطيع أن أقول لك كل ما تريد معرفته . ان الأختين دولسيبيللا الغيتا عقدها وغادرتا كوفنترى الى مكان مجهول .

– هل هذا صحيح يا بوارو ؟

– يمكنك أن تصدقنى يا هاستنجز . اننى استعلمت فى وقت مبكر من صباح اليوم وعلى كل حال ماذا كنت تنتظر غير هذا ؟

والحق اننى كنت أتوقع ذلك فقد أنتهزت سندريللا المهلة القصيرة التى أفلحت فى توفيرها لها وبادرت بالفرار . وكان هذا هو ما أردته وما سعيت اليه ، ومع ذلك فقد أدركت اننى زججت بنفسى فى شبكة جديدة من المتاعب .

لم يكن لدى أية وسيلة لكى أتصل بالفتاة ، وكان من الضرورى أن تعرف خط الدفاع الذى أقمته والذى سأتشبث به . وكان من المحتمل طبعا أن تحاول الاتصال بى

بطريقة أو بأخرى ولكننى لم أكن واثقا من ذلك لأننى كنت أعتقد أنها تخشى أن يقع بوارو على أثرها .

وبوارو ؟ ... ماذا كان يفعل ؟ ... نظرت اليه فى اهتمام . كان جالسا فى هدوء يبدو عليه عدم الاكتراث . قد عاشرته وعرفت مدى خطره حين يبدو هادئا ولعله لحظ انزعاجى وقلقى لأنه نظر الى مبتسما وقال :

- أراك حائرا يا هاستنجز . وأظنك تتساءل لماذا لا أسرع لمطاردتها .

- الواقع ... اننى ..

- لو انك مكانى لفعلت ذلك طبعا . ولكننى لست من أولئك الذين يسرهم الجرى طول البلاد وعرضها للبحث عن أبرة فى كومة من التبن . كلا . فلتذهب بيللا دوفين حيث تريد فسأعرف كيف أجدها عند اللزوم .

نظرت اليه فى شئ من الشك . هل كان يحاول خداعى ؟ ... واحنقنى أن أرى أنه حتى فى تلك اللحظة سيد الموقف . فقد سهلت لبيللا سبل الفرار ودبرت خطة بارعة لانقاذها من عواقب عملها الطائش . ولكننى لم أشعر بالأطمئنان مع ذلك فان هدوء بوارو أثار فى نفسى كل المخاوف .

وقلت فى حياء :

- أظن يا بوارو أننى لا أستطيع أن أسألك عن مشاريعك ، فلم يعد لى الحق فى ذلك .

- أبدا يا صديقى ... ليس هناك أى سر . سنعود الى فرنسا دون ابطاء .

- سنعود ؟

- طبعا ، فأنت تعرف تماما انك لا تستطيع ان تدع بوارو العجوز يغيب عن عينك لحظة واحدة . ولكن يمكنك البقاء فى انجلترا اذا أردت

هززت رأسى فقد قال صدقا . لم يكن باستطاعتى أن أدعه يغيب عن نظرى . لم

أكن أنتظر ان يفضى الى بأسراره بعد الذى حدث ، ولكن كان بمقدورى أن أعين خطواته فهو وحده كان مصدر خطر لبيللا . أما جيرو والبوليس الفرنسى فلم يكن أى منهما مهتما بها وكان لابد لى من البقاء بالقرب من بوارو بأى ثمن .

ونظر الى فى اهتمام وأنا أقلب هذه الأفكار فى رأسى وقال :

- اننى على حق ، أليس كذلك ؟ ... وبما انك تستطيع أن تتبعنى متنكرا بطريقة مضحكة بلحية مستعارة تلفت جميع الأنظار اليك فأننى أوثر أن نسافر معا .

- حسن جدا . ولكن دعنى انبهك الى ....

- اننى أعرف .. أعرف كل شئ ... انك عدوى . حسنا . فليكن . هذا أمر لا يخيفنى اطلاقا . ومهما يكن فلعلك راض بالدور الذى قمت به أما أنا فلا فان مصير جاك رينو يشغلنى .

جاك رينو ... أرتجفت عند سماعى هاتين الكلمتين فقد كنت نسيت أمره تماما . جاك رينو فى السجن يتعرض لصدور حكم الاعدام عليه . وبدا لى الدور الذى قمت به تحت يوم أسود كان بمقدورى ان أنقذ بيللا طبعا ، ولكننى كنت أخاطر بارسال رجل برئ الى الموت .

أقصيت هذه الفكرة عنى وقد ملئت رعبا . هذا لا يمكن ان يكون أبدا . سوف تبرأ ساحته . سوف تظهر براءته بكل تأكيد . ولكن الخوف البارد استولى على من جديد . واذا لم تظهر براءته ؟ ... سوف يثقل موته ضميرى الى الأبد . لابد لى من الاختيار بين بيللا وبين جاك رينو ؟ كان قلبى يدفعنى الى انقاذ التى أحب ، ولكن اذا كان ذلك على حساب حياة رجل آخر فان المشكلة تأخذ شكلا غريبا .

وماذا تقول بيللا ؟ ... تذكرت اننى لم أقل لها أن جاك رينو قد ألقى القبض عليه . كانت تجهل ان حبيبها السابق فى السجن متهم بجريمة بشعة لم يرتكبها ، فماذا تفعل عندما تعرف ذلك ؟ هل ترضى أن تكون حياته ثمنا لحياتها ؟ لم يكن ينبغى ان

تتصرف دون تفكير طبعا . كان هناك احتمال فى ان يصدر الحكم ببراءة رينو دون أى تدخل منها . لو صح فان الأمر يكون على ما يرام عندئذ . ولكن ماذا يكون لو أنه أدين ؟ هذه هى المشكلة الرهيبة التى لم أعرف لها جوابا . تصورت انها لن تتعرض لصدور حكم الاعدام لأن الظروف التى دفعتها الى الجريمة كانت مختلفة جدا ، وأن فى مقدورها ان تدافع عن نفسها بأنها ارتكبت جريمتها بدافع الغيرة وان حقيقة قتلها لمستر رينو بدلا من ابنه لن يغير شيئا من دوافع الجريمة وسيؤثر جمالها وشبابها على المحلفين فيخففون حكمهم عليها .ولكنهم سيحكمون عليها مع ذلك بالسجن مدة طويلة جدا .

كان لابد لى من حمايتها ومن انقاذ جاك رينو فى نفس الوقت . ولم أر ماذا أستطيع عمله ولكننى وضعت ثقتى كلها فى بوارو ، فقد كان يعرف ، ومهما حدث فسوف يدبر أمره لكى ينقذ الشاب البرئ . كان لابد له من ان يجد وسيلة وقد يكون الأمر صعبا ولكنه سيفلح ... لن يشتبه البوليس فى بيللا وسوف تظهر براءة رينو .

ولم انقطع عن التفكير فى كل هذا ولكن القلق كان يعتصرنى فى أعماق قلبى .

* * *

أنقذه

مضينا فى اليوم التالى لعودتنا من انجلترا الى مدينة سنت أومر حيث نقل جاك رينو ، واستقبلنا مسيو هوتيه قاضى التحقيق مرحبا وقال :

- قيل لى انك عدت الى انجلترا يا مستر بوارو ، ويسرنى أن أرى أن هذا غير صحيح .

- بل ذهبت اليها فى زيارة قصيرة وراء أثر ثانوى كان لابد لى من التحقق منه .

- وهل اهتديت الى شئ ؟

هز بوارو كتفيه فتنهد مسيو هوتيه وقال :

- لابد لنا من الاستسلام للواقع اذن . ان هذا الحيوان جيرو فظ فى طباعه ولكن ليس هناك أى شك فى أنه قدير جدا .

- هل تعتقد هذا ؟

هز قاضى التحقيق كتفيه بدوره وقال :

- لنتكلم بكل صراحة ... هل تستطيع الوصول الى نتيجة أخرى ؟

- اذا أردت الصراحة حقا فانه يبدو لى أن هناك بعض النقاط الغامضة .

- مثال ذلك .

أجاب بوارو : - اننى لم أرتبها بعد وانما ذكرت ملاحظة عامة . ان ذلك الشاب كان يروق لى ويؤسفنى أن يتهم بمثل هذه الجريمة البشعة . وبهذه المناسبة بماذا يدافع عن نفسه .

عبس القاضى وقال : - اننى لا أستطيع أن أتهمه . انه لا يحاول الدفاع عن نفسه ويكتفى بانكار كل شئ ثم يلتزم الصمت فى اصرار عجيب . سأستجوبه غدا صباحا

من جديد فهل تريد أن تحضر ؟

وقبلنا الدعوة على الفور وعاد القاضي يقول وهو يتنهد : - هذه قضية محزنة . وانني أرى جد المسز رينو . انها لم تفق من اغمائها بعد ، وهذا من حسن حظها ، لأنها تجنبت بذلك انفعالات شاقة . ويقول الأطباء أن حالتها غير خطيرة ولكن لابد لها من الهدوء التام عند عودتها الى الرشد . انها أصيبت بصدمة نفسية أثرت عليها أكثر من الواقعة .

واضطجع القاضي في مقعده الى الوراء ولكنه لم يلبث أن اعتدل قائلا :

- آه . وبهذه المناسبة . جاءني خطاب باسمك يا مستر بوارو .

وبحث بين أوراقه وناول الخطاب لبوارو . وفحص هذا الأخير المظروف في فضول . كان مكتوبا بخط امرأة ولم يفضه بوارو وانما دسه في جيبه ونهض قائلا :

- الى الملتقى غدا اذن . وأشكرك كثيرا .

وكنا نهم بمغادرة المحكمة عندما وجدنا أمامنا جيرو . وكان أنيقا كعادته ويبدو شديد الاعتداد بنفسه . وصاح يقول في وقاحة :

- آه . مستر بوارو .... ها أنت قد عدت اذن من انجلترا .

قال بوارو : - كما ترى .

- أظن أن نهاية القصة أصبحت معروفة الآن :

- هذا رأيي أنا أيضا يا مستر جيرو .

كان بوارو يتكلم في صوت خافت ويدأ ان ارتباكه قد تسبب في سرور جيرو الذي قال :

- ما أغبى هذا المجرم ! ... انه لا يحاول حتى الدفاع عن نفسه ، وهذا عجيب .

قال بوارو في هدوء : - عجيب بحيث يحدوك الى التفكير ؟

ولكن جيرو لم يكن يصغي اليه . وضرب الهواء بعصاه وقال : - الى الملتقى اذن

يا مستر بوارو يسرني انك اقتنعت أخيرا بجرم جاك رينو .

- معذرة . لست مقتنعا أبدا .. ان جاك رينو برئ

انتفض جيرو ثم ضج بالضحك وهتف : - ما أنت الا عجوز أحمق .

اعتدل بوارو وومض في عينيه وميض خطير وقال : - مسيو جيرو انك كنت طوال مدة التحقيق مهينا جدا . وانك لتستحق أن أعطيك درسا .. انني مستعد على أن أراهنك بخمسمائة فرنك على أنني سأكتشف قاتل مستر رينو قبلك . فهل تقبل ؟

حملق جيرو فيه في غباء وتمتم : - أنت مجنون !! .لا رغبة لي في أن آخذ مالك .

- لا تخش شيئا فانك لن تأخذه .

- أوه ، حسنا انني أقبل . تقول ان طريقتي معك كانت مهينة ؟ حسنا . أعلم انك الآخر أزعجتني أكثر من مرة .

قال بوارو : - يسرني أن أعلم ذلك . هلم بنا يا هاستنجز .

ولم أنطق بشئ ونحن نهبط الشارع فقد عصف القلق بي بعد أن أبدى بوارو نواياه بكل وضوح . وأصبحت أشك في أنني لن أستطيع انقاذ بيلا من نتائج عملها وفجأة أحسست بيد على كتفي فالتفت واذا بي أرى ستونور وتوقفنا لكي نحييه وقال بوارو :

- ماذا تفعل هنا يا مستر ستونور ؟

أجاب الآخر في حدة : - يجب أن يساند المرء أصدقاءه لا سيما اذا اتهموا ظلما

قلت على الفور : - أنت لا تعتقد اذن أن جاك رينو ارتكب الجريمة

- كلا بالطبع . انني أعرف هذا الشاب . وأعترف ان هناك نقطة أو نقطتين في هذه القضية أثارتا حيرتي ولكنني واثق ان جاك رينو ليس قاتلا

قلت : - انني أوافقك . ولكنه سيجد صعوبة كبيرة في اثبات براءته

قال ستونور : - ان تصرفه غريب وأظن أن هناك شيئا آخر في هذه القصة لا يراه

.. هذه .. ..رو من العشاء بحيث لا يفهم ذلك . واذا كانت مسز رينو لا تريد أن ..كل .... انحنى عند ارادتها فان هذا يعنيها هي وان احترامى لها لكبير بحيث لن احاول معارضتها . ولكننى لا أستطيع أن أفهم موقف جاك ويخيل لى أنه يريد أن يعتبرنا مذنب .

- ولكن هذا غير معقول . فهناك الخنجر أولا ... اننا نعرف أنه لم يكن مع جاك رينو فى تلك الليلة . ومسز رينو تعرف ذلك .

قال ستونور . هذا صحيح . وعندما تفيق ستقول هذا . بل ربما تقول المزيد .

وغادرنا عقب ذلك بعد أن وعد بوارو بأن يخبره بمجرد ان تعود مسز رينو الى الرشد . وقال بوارو عندما عدنا الى الفندق :

- بمناسبة الخنجر تحريت عن المصنع الذى صنعه فيه جاك وعلمت انه لم يصنع خنجرين وانما ثلاثة . أعطى واحدا لأمه وواحدا لبيللا دوفين واحتفظ بالثالث لاستعماله الخاص .

وأخرج من جيبه الخطاب الذى أعطاه مسيو هوتيه له وفضه وقال بعد أن قرأه : - هناك امرأة اخرى تتألم يا هاستنجز .

كان الخطاب من مارث وهذا نصه :

عزيزى مستر بوارو

اتوسل إليك أن تهرع لمساعدتى . انني لاأعرف إلى من ألجأ ويجب انقاذ جاك انني أتوسل إليك راكعة بان تساعدنا .

مارث دوبريل

وبعد نصف ساعة كنا نطرق باب فيللا مرجيت . وفتحت لنا مارث وأمسكت بيد بوارو بين يديها وادخلته قائلة

ه .لك أتيت . هذه .. مه كسرة منك . كنت يائسة جدا لاأدرى ماذا أفعل ولم

يسمحوا لى أن أراه فى السجن وأكاد أجن لفرط الحزن .هل صحيح أنه لاينكر الجريمة ؟ ولكن هذا جنون . مستحيل أن يكون ارتكب هذه الجريمة . لن أصدق ذلك أبدا .

قال بوارو فى رفق :- ولا أنا . لماذا لايتكلم إذن ؟ .. اننى لاأفهم .

قال بوارو وهو يراقبها جيدا :- لعله لايريد أن يتكلم لكى ينقذ شخصا .

قطبت جبينها وقالت :- ينقذ شخصا ؟ .. هل تعنى امه ؟ .. آه .. اننى اشتبهت فيها منذ البداية . فهى التى ترث ثروته ، ولاريب أن مستر ستونور قد ساعدها فى ارتكاب الجريمة فهما صديقان حميمان . صحيح انها أكبر منه سنا ولكن الرجال لايحفلون بذلك إذا كانت المرأة ثرية .

وكان فى صوتها مسحة من المرارة وقالت :- ولكن مستر ستونور كان فى انجلترا .

- هو الذى يزعم ذلك ولكن من يدرى ؟

قال بوارو فى رفق :- إذا أردت أن نعمل معا ياآنسة فيجب أن يكون كل شيء واضحا . وسألقى عليك قبل ذلك سؤالا . هل تعرفين الاسم الحقيقى لوالدتك ؟

نظرت مارت إليه لحظة ثم اطرقت برأسها إلى الأرض وأجهشت بالبكاء فقال بوارو وهو يربت على كتفها برفق :

- هدئى من روعك ياصغيرتى . أرى انك تعرفين ذلك . والآن ، سؤال آخر . هل تعرفين الاسم الحقيقى لمستر رينو ؟؟

رفعت رأسها ونظرت إليه مشدوهة وقالت :- مستر رينو ؟

- آه أرى أنك لاتعرفينه . اصغى إلىّ إذن .

وأخبرها بالقصة بالتفصيل كما فعل معى . وأصغت مارت إليه فى صمت وعندما فرغ منها صاحت : ولكنك مدهش .. رائع .. أنت أعظم مخبر سرى فى العالم .

وضمت يديها فى حماس وقالت :

- انقذه ياسيدى . أننى أحبه . آه . انقذه ... انقذه .

خاتمة غير متوقعة

بدأ قاضى التحقيق استجوابه لجاك رينو بأن سأله قائلا :- هل تنكر انك كنت فى مرلنفيل ليلة الجريمة ؟

لم يجب جاك على الفور وانما قال بعد تردد يرثى له : - قلت لك أننى كنت فى شربورج .

وأمر القاضى بادخال الشاهد الأول ، وكان هو حمال المحطة فشهد بأنه رأى جاك رينو بين الذين هبطوا من قطار منتصف الليل فى ليلة الجريمة وجاء شاهد آخر من موظفى المحطة فأيد أقوال الشاهد الأول . وقال القاضى بعد أن فرغا من الادلاء بأقوالهما :

- ما رأيك ؟

هز جاك كتفيه وقال : - لا شئ .

وتناول القاضى عندئذ الخنجر من فوق المنضدة وقال : - هل سبق أن رأيت هذا من قبل ؟

أجاب جاك رينو فى هدوء : - نعم . انه هدية قدمتها لأمى تذكارا من الحرب .

- هل تعرف اذا كان هناك خنجر آخر مشابه له .

- لا أظن . فأنا الذى وضعت تصميمه .

بدأ القاضى مشدوها ازاء هذا الرد المتهور ، وكأنما صمم جاك أن يعجل نهايته . وقد أدركت أنا أنه لابد أن ينكر وجود خنجر مماثل وذلك لكى ينقذ حبيبته السابقة بيللا وبدأت أرى مدى المهمة التى ألقيتها على عاتق بوارو بكل استخفاف كما بدأت

ادرك أنه ليس من السهل الحصول على براءة جاك رينو الا بكشف الحقيقة كلها . وقال القاضى : - لعلك تفهم انه لا يسعنى الان الا ادانتك فى هذه الجريمة ؟

أحتقن وجه جاك رينو ولكنه قال فى هدوء : - أقسم لك أننى لم أقتل أبى .

ارتسم الشك فى عينى القاضى الا أنه لم يلبث أن زال . وضحك مسيو هوتيه ضحكة بغيضة متهكما وقال :

- بلا ريب ... بلا ريب ... ان جميع سجنائنا أبرياء ، ولكنك أدنت نفسك بأقوالك التى لم تستطع أن تدافع عن نفسك ولم تثبت انك كنت فى مكان آخر غير مكان الجريمة عند ارتكابها واكتفيت بادعاءات مبهمة بأنك لست مذنبا ... انك قتلت أباك يا رينو لأنك كنت تظن انك سترثه . وكانت أمك شريكه لك ولا ريب أنها تعتبر انها تصرفت كأم . وستستعمل المحكمة الرأفة معها ولكنها لن ترأف بك لأن جريمتك من أبشع الجرائم و ...

وفتح الباب فى هذه اللحظة وقال الحاجب يقاطعه : - سيدى القاضى ... هناك سيدة تقول ... صاح القاضى محنقا : - تقول ماذا ؟ ... هذا عمل شاذ وأنى أمنعه ..

ولكن فتاة نحيلة الجسم أقصت الحاجب فى رفق وتقدمت الى الداخل ، وكانت ترتدى ثيابا سوداء وتخفى وجهها بخمار طويل :

وثب قلبى بين ضلوعى . فقد جاءت رغم كل شئ وراحت كل جهودى عبثا ، ولم يسعنى الا ان أعجب بشجاعتها فى اتخاذ هذا القرار .

ورفعت الخمار عن وجهها فأطلقت صيحة مكتومة لأنها لم تكن سندريللا وان كانت تشبهها شبها عجيبا . ولكننى الان وأنا أراها بغير الباروكة الشقراء التى كانت تضعها على رأسها فى المسرح عرفت فيها الوجه الذى رأيته فى الصورة التى وجدناها فى غرفة جاك رينو . قالت : - هل أنت مسيو هوتيه ، قاضى التحقيق ؟

- نعم ، ولكن .. - اسمى بيللا دوفين وجئت أسلم نفسى . أنا قاتلة مستر رينو .

رسالة من سندريللا

صديقى

عندما تأتيك رسالتى هذه تكون قد عرفت كل شئ فلم أعد أستطيع التأثير على بيللا وقد ذهبت لكى تسلم نفسها للعدالة . وقد تعبت من النضال .

ستعرف الآن اننى خدعتك واننى قابلت ثقتك التى منحتنى اياها بسلسلة من الأكاذيب لا عذر لها . ولكن قبل أن أخرج من حياتك الى الأبد أود أن أطلعك على كل ما حدث وان الحياة لتبدو لى أسهل بكثير فى المستقبل لو عرفت انك غفرت لى . وعذرى الوحيد اننى لم أفعل ما فعلت لمصلحتى الخاصة .

سأبدأ باليوم الذى التقيت بك فى اكسبريس باريس كنت شديدة القلق على بيللا فقد كانت مجنونة بجاك رينو ولو أنه وطأها بقدميه لما اشتكت . وعندما تغير ولم يعد يراسلها كما يفعل أصبحت فى حالة يرثى لها وخطر لها أنه أحب امرأة غيرها وقد أثبتت الأحداث انها كانت على حق فى هذه النقطة وأصرت على أن تذهب الى الفيلا بمرلنفيل فى محاولة لكى ترى جاك . ولما كانت تعرف معارضتى لها فى مثل هذا المشروع فقد ذهبت دون أن تخبرنى . وأدركت أنها ليست فى قطار كاليه وصممت ألا أعود الى انجلترا من غيرها لأننى أحسست أن شيئا رهيبا سوف يقع اذا أنا لم أتدخل وأمنعها .

ولحقت بالقطار التالى الى باريس ووجدتها فيه وقد أرادت أن تمضى الى مرلنفيل وأخذت أناقشها ولكن دون جدوى وعندئذ نفضت يدى وكان الوقت ليلا فمضيت الى أحد الفنادق فى حين ذهبت الى مرلنفيل .

ولم أجد لها أثرا فى اليوم التالى وكانت قد قالت لى أنها ستأتى الى الفندق فى

ساعة معينة ولكنها لم تأت . ولم تظهر طوال النهار . وازداد قلقى ولم ألبث ان عرفت بالمأساة من جريدة المساء .

كان الأمر فظيعا . لم أكن واثقة طبعا ولكننى كنت شديدة الخوف وخطر لى أن بيللا التقت بمستر رينو الأب وانها حدثته عن نفسها وعن جاك وأنه ربما أهانها ونحن كما سبق أن قلت لك لا نستطيع التحكم فى أعصابنا .

ثم ذكرت الجرائد نبأ الرجلين المقنعين فأحسست بالأطمئنان ، ولكن حقيقة أن بيللا لم تأت فى الموعد الذى ضربته لى سبب لى قلقا كبيرا .

وفى صباح اليوم التالى كنت ثائرة الأعصاب بحيث مضيت الى مرلنفيل وهناك التقيت بك وتظاهرت بأننى موشكة على الاغماء وطلبت منك أن تأتينى بكوب من الماء ، وما كدت تخرج حتى أسرعت وأخذت الخنجر لأننى كنت أخشى أن تكون على مقبضه آثار بصمات وأخفيته فى صدرى . وقلت لك أننى أقيم فى فندق الفنار ولكننى مضيت رأسا الى كاليه وأخذت الباخرة الى لندن ، وعندما أصبحت فى عرض المانش تخلصت من الخنجر والقيت به فى البحر وتنفست عندئذ الصعداء .

ووجدت بيللا فى المسكن بلندن ، وكانت سحنتها مقلوبة فأطلعتها على ما فعلت وقلت لها أنها أصبحت بمنأى عن الخطر فى الوقت الحالى على الأقل . ونظرت الى مذهولة ثم راحت تضحك ... وتضحك . وكان الأمر رهيبا . ورأيت أن أفضل شئ هو أن نستأنف العمل والا اصيبت بالجنون اذا ما تركت نفسها للأفكار ، ولحسن الحظ أننا حصلنا على عقد على الفور .

ثم رأيتك أنت فى المسرح بكوفنترى فى تلك الليلة . وجننت من الخوف وقد أدركت انكما تشتبهان فى بيللا . وكنت محطمة الأعصاب ، وقبل أن أتمكن من النطق بأية كلمة فهمت انك تشتبه فى أنا وانك لا تعرف شيئا عن بيللا ، أو بقول آخر ظننت اننى أنا بيللا .

وددت يا حبيبى لو انك استطعت أن تقرأ ما كان يجول فى ذهنى فى ذلك الوقت فلعلك كنت تصفح عنى عندئذ . كنت خائفة ويائسة ... فهمت انك تحاول انقاذى ولكننى لم أكن واثقة من انك ستريد أن تنقذها هى .. بدا لى ذلك بعيد الاحتمال ، فقد كان الأمر مختلفا ولم أكن أستطيع المجازفة فان بيللا أختى التوأم ويجب أن أبذل فى سبيلها كل شئ . وعندئذ رضيت أن أكذب وما زلت احتقر نفسى لهذا ... لأنه كان يجب أن أفضى اليك بكل شئ ، وليتنى فعلت .

" وما أن ظهر نبأ القبض على جاك رينو فى الجرائد حتى ضاع كل شئ فلم تشأ بيللا الانتظار لكى ترى سير الأحداث .

" اننى متعبة ولا أستطيع أن أكتب المزيد .

وكانت قد وقعت باسم سندريللا ولكنها شطبته وكتبت مكانه دوس دونينى " .

وكان بوارو بجوارى وأنا أقرأ هذه الرسالة . وأفلتت أوراقها من يدى وأنا أقول :

- هل كنت تعرف انها لم تكن بيللا فى ذلك اليوم ؟

- ظننت فى بادئ الأمر أنه لا يمكن أن تخطئ مثل هذا الخطأ ، فأنت قد رأيت الصورة وصحيح ان الأختين تتشابهان ولكن ليس الى هذا الحد .

- ولكن الشعر الأشقر ؟

- وكان عبارة عن باروكة للتمييز بين الأختين على خشبة المسرح .

- لماذا لم تقل لى ذلك ونحن فى كوفنترى ؟

قال بوارو متهكما : - تذكر انك كنت عنيفا معى يا صديقى وانك لم تترك الفرصة لكى أخبرك بشئ . وقد أغضبتنى بعدم ثقتك فى . ثم اننى أردت أن أتأكد من مشاعرك وهل تحتمل محنة الزمن وهل حبك حقيقى أم أنه مجرد نزوة .

فما كنت لأتركك فى غيك وقتا طويلا .

هززت رأسى وقد تبدد غضبى منه ازاء مهمته الرقيقة . وقلت :

- أقرأ هذا ... يسرني أن تفعل .

وقرأ بوارو الرسالة ثم قال : - ما الذى يزعجك يا هاستنجز ؟

- انها لم تقل لى هل تحبنى أم لا .

- أظن انك مخطئ يا هاستنجز . انها تبثك حبها فى كل سطر من سطور رسالتها.

- ولكن أين أجدها ، انها لم تكتب لى عنوانها . ولا شئ على خطابها الا طابع بريد فرنسى .

- لا تقلق . دع هذا لبوارو العجوز ... سأعثر لك عليها .

***

قصه جاك رينو

قال بوارو وهو يضغط على يد الشاب فى ود كبير : - أهنئك يا مستر جاك .

كان الشاب قد أسرع لملاقاتنا بمجرد اطلاق سراحه وذلك قبل عودته الى مرلنفيل لكى يلحق بمارت وأمه . وكان مستر ستونور برفقته ، وكان هناك تباين كبير بين الرجلين فقد بدا ستونور منبسط الأسارير فى حين كان جاك مقلوب السحنة وعلى قاب قوسين أو أدنى من الانهيار العصبى على الرغم من أنه أصبح الان بمأمن من الخطر . وقال يخاطب بوارو :

- اننى فعلت هذا لكى أحميها ، ولكن لم تعد هناك فائدة الان .

قال ستونور فى حدة : - ما كان يجب أن تتوقع أن تقبل هذه الفتاة أن تضحى بحياتك من أجلها .

وقال بوارو : - لو كنت مكانك لما أزعجت نفسى بأمرها أكثر من ذلك . ان القضاء الفرنسى متساهل جدا مع الجمال والشباب ومع الجريمة العاطفية . وفى مقدور أي محام قدير أن يظفر لها بحكم مخفف .

- ولكننى أعتبر نفسى مسئولا عن مقتل أبى بطريقة ما يا مستر بوارو . ولولا مغامرتى الغرامية مع تلك الفتاة لكان على قيد الحياة اليوم . ثم أهمالى عندما أخذت معطف أبى بدلا من معطفى وانه لأمر فظيع أن بيللا قتلت أبى . كان يجب أن أصارحها عندما التقيت بمارت ، ولكننى خشيت أن تقطع مارت صلتها بى عندما تعلم بأمرها . مهما يكن فاننى كنت جبانا وتركت الأمور تجرى كما هى على أمل أن تنصلح وحدها ولم أدرك اننى ادفع هذه الفتاة المسكينة الى اليأس . ولو انها قتلتنى انا كما كانت تريد لما لقيت الا ما أستحق .

ولكن الذى يثير دهشتى هو السبب الذى حدا بأبى الى الخروج فى مثل هذه الساعة بثيابه الداخلية تحت معطفى . ولا ريب انه كان قد تمكن من الافلات من الرجلين المقنعين ولابد أن أمى قد أخطأت عندما قالت انهما جاءا فى الساعة الثانية صباحا ... أو ربما كان كل ذلك غير صحيح ومن بنات خيال أمى ومعنى هذا أنها ربما حسبت اننى .. اننى انا الذى قتلت أبى .

أسرع بوارو يطمئن الشاب قائلا : - كلا ، كلا . يا مستر جاك . ابعد هذه الفكرة من رأسك ، أما الباقى فسوف أفسره لك ذات يوم . هذا عجيب . ولكن هل لك أن تخبرنى بكل ما حدث فى تلك الليلة الرهيبة بالتدقيق ؟

- ولكن ليس هناك الكثير ، فقد عدت من شربورج تلك الليلة لكى أرى مارت قبل أن أرحل الى أمريكا الجنوبية . وقد جاء القطار متأخرا ورأيت أن اجتاز أرض الجولف اختصارا للطريق وبهذا يتسنى لى أن أصل الى فيللا مرجريت رأسا . وكنت قد وصلت تقريبا عندما سمعت صيحة هائلة فتسمرت فى مكانى ورأيت قبرا فيه رجل وفى ظهره خنجر . ثم .. ثم رفعت عينى ورأيتها هى . كانت تنظر الى كما لو أنها كانت ترى شبحا وعيناها تنطقان بالذعر ثم أطلقت صرخة حادة وهربت . وبقيت مكانى لحظة ثم أدركت أن من الأوفق أن أختفى بأسرع ما يمكن . ولم يخطر ببالى بأننى قد أكون موضع شك ولكننى خشيت أن استدعى للادلاء بالشهادة ضدها فمشيت حتى بوفيه كما سبق أن قلت لك ، وهناك ركبت سيارة عادت بى الى شربورج .

وطرق الباب فى هذه اللحظة وجئ ببرقية لستونور فضها ثم هب واقفا وهو يقول : لقد عادت مسز رينو الى رشدها .

أسرع بوارو بالنهوض قائلا : - آه . هلموا بنا اذن الى مرلنفيل .

وبين أربعين دقيقة كنا قد وصلنا الى مرلنفيل ، وفيما نحن نقترب من الفيللا نظر جاك رينو الى بوارو وقال له :

- ما رأيك فى أن أذهب الى أمى لكى أخبرها بأنهم أطلقوا سراحى .

قال بوارو وفى عينيه بريق من الخبث : - اننا الان أمام فيللا مرجريت فامض الى الانسة مارت وأخبرها بذلك أولا .

لم ينتظر جاك رينو دقيقة واحدة وانما وثب من السيارة وأسرع الى الفيللا جريا وقلت أخاطب بوارو :

- ماذا فعلت لكى تعثر على بيللا .. أعنى دوسى ؟

- اطمئن يا هاستنجز . سأدبر كل شئ .

وبلغنا فيللا جنفييف وفتحت فرانسواز الباب . وقال لها بوارو انه يريد أن يرى مسز رينو بدون تأخير وأخذته فرانسواز الى الطابق الأول وبقيت أنا فى الصالون ، ومر وقت طويل قبل أن يعود بوارو وكان بادى الاضطراب والانشغال . وخاطبنى بقوله :

- ان النساء أمرهن عجيب يا صديقى ، وما كنت أتوقع ...

قاطعته أصيح وأنا أنظر من النافذة : - ها هو جاك رينو ومعه مارت دوبريل ؟

أسرع بوارو خارج الغرفة وقابل الشابين على عتبة الباب الخارجى وقال :

- لا تدخل . من الأوفق ألا تدخل الان يا مستر جاك فان امك غاضبة .

قال جاك : - اننى أعلم ولكن يجب أن أراها على الفور .

- يمكنك أن تصعد اذا أردت ولكن وحدك . دع الانسة هنا وان كنت أفضل أن تعمل بنصيحتى .

وسمعنا حركة عند أعلى السلم فرفعنا أنظارنا ورأينا مسز رينو تهبط السلم فى بطء وهى تتكئ على ذراع ليونى . وكانت شاحبة يبدو عليها التعب والاعياء . واندفع جاك اليها قائلا : - أمى !

ولكنها دفعته عنها بحركة من يدها قائلة : - لم أعد أمك ولم تعد ابنى منذ هذا اليوم واننى أتبرأ منك .

عاد الشاب يقول مذهولا : - أمي !

خيل الى لحظة انها ستضعف أمام نبرات القلق التى تظهر فى صوت ابنها ، وأتى بوارو بحركة كما لو كان يسترضيها ولكنها سرعان ما تمالكت واستطردت :

- ان دم أبيك يقع على رأسك وأنت مسئول أدبيا عن موته . انك أهنته وتحديته باصرارك على الزواج من هذه الفتاة وبهجرانك لفتاة أخرى وتسببت فى موته فاخرج من بيتى . وسأتخذ ابتداء من صباح الغد الاجراءات الكفيلة لكى لا تستفيد بقرش واحد من ثروته وعليك أن تشق طريقك فى الحياة بمساعدة تلك الفتاة أبنة عدوة أبيك .

وعادت الى غرفتها فى بطء ومشقة كبيرة .

ودهشنا جميعا لأننا لم نكن مستعدين بمثل هذا الاستقبال . ولم يستطع جاك رينو أن يحتمل ذلك بعد كل ما صادفه فترنح وكاد يقع وأسرعت أنا وبوارو لمساعدته . وقال صديقى :

- لقد خارت قواه . أين نستطيع أن نذهب به ؟

- عندى طبعا . بفيللا مرجريت . سأعنى به أنا وأمى . يا لجاك المسكين ؟

ونقلنا الشاب الى الفيللا حيث تهالك فوق مقعد . وجس بوارو نبضه وقال : - انه محموم . كان الضغط كبيرا ثم هذه الصدمة الجديدة . أرقديه على الفراش ريثما أدعو أنا وهاستنجز الطبيب .

وجاء الطبيب بعد قليل ، وبعد أن فحص المريض صرح بأنه يعانى من ارهاق عصبى وأن الهدوء التام يمكن أن يعيد اليه كامل قواه فى اليوم التالى وان أية مضاعفات يمكن أن تكون لها نتائج وخيمة وقال ان الأفضل أن ترعاه أحدى الممرضات حتى الصباح .

وتطوعت مارت بذلك . وعدت أنا وبوارو الى فندق الحمامات بعد أن أطمأننا عليه وهناك القى بوارو سؤالا أثار دهشتى الشديدة فقد قال :

- ألم تأت فتاة انجليزية تدعى الانسة روبنسون ؟

- بل جاءت يا سيدى ، وهى فى غرفة الصالون .

وصحت : - من تكون هذه الانسة روبنسون يا بوارو ؟

ألقى بوارو الى نظرة خبيثة وقال : - هى الزوجة التى أخترتها لك .

- ولكن يا بوارو .

صاح وهو يدفعنى الى غرفة الصالون فى رفق : - آه . هل تريد أن انطق باسم مس دوفين أمام الجميع ؟

كانت سندريللا هى التى تنتظرنا فى الواقع .وأخذت يدها فى يدى ونطقت عينانا بالباقى . وقال بوارو :

- ان لدينا عملا كثيرا ... هل استطعت القيام بما طلبت منك يا آنسة ؟

فتحت سندريلا حقيبتها ردا على سؤاله وأخذت منها لفافة من الورق ناولته اياها فى صمت فكها بوارو فاذا بى أرى أمامى الخنجر الذى زعمت بأنها ألقته فى البحر . وقال بوارو :

- هذا حسن جدا يا ابنتى .. اننى مسرور منك . يمكنك أن تستريحى الان فان لدى أنا وهاستنجز عملا .

قالت بعينين متسعتين : - أين تذهبان ؟

- ستعرفين ذلك غدا .

- ولكننى أريد مرافقتكما ... كلا ، لا تحاول .

ورأى بوارو انه لا طائل من النقاش معها فقال : - حسنا . تعالى يا آنسة . ان الأمر شاق وأرجو ألا يقع شئ .

وبعد عشرين دقيقة كنا نقطع الطريق الى فيللا جنفييف . ولكن عندما بلغنا فيللا مرجريت قال بوارو :

- انني أريد أن أطمئن على جاك رينو . تعال معى يا هاستنجز . أما أنت يا آنسة فأرجو أن تنتظرينا فى الخارج لأن مسز دوبريل قد توجه اليك كلمة جارحة .

وفتحنا الباب العمومى وتقدمنا نحو الفيللا . وفيما نحن ندور بالبيت جذبت اهتمام بوارو الى احدى نوافذ الطابق الأول . وكانت الستائر مسدلة ورأيت عليها الهيئة الجانبية لمارت دوبريل فقال :

- آه . لا ريب اننا سنجد جاك رينو فى هذه الغرفة .

وفتحت لنا مسز دوبريل الباب وقالت أن جاك ما يزال غائبا عن وعيه ، وتقدمتنا الى الطابق الأول ووجدنا جاك راقدا فى غرفة النوم وقد جلست مارت دوبريل بجوار الفراش ، ورفعت أصبعا الى شفتيها ونحن ندخل .

وسألها بوارو : - هل سيأتى الطبيب ؟

- لن يأتى الا اذا استدعيناه . ولكنه نائم الان ، وقد اعطته أمى شرابا ساخنا .

ورافقتنا مسز دوبريل حتى باب الفيللا . وكنت قد بدأت أنظر اليها فى اهتمام كبير منذ أن عرفت قصتها . كانت تطرق بعينيها الى الأرض وهى تبتسم ابتسامة غامضة ولم ألبث أن أخافتنى فجأة ، تماما كما يخاف المرء من ثعبان جميل .

وقال بوارو فى لهجة مهذبة ونحن نفتح الباب : - أرجو ألا نكون قد أزعجناك يا سيدتى .

- أبدا .

وسألها كما لو كان قد تذكر أمرا مفاجئا : - وبهذه المناسبة . هل جاء مستر ستونور الى مرلنفيل اليوم ؟

ولم أستطع أن أفهم المعنى من هذا السؤال . وأجابت مسز دوبريل فى غير اكتراث

- لا أدرى .

- ألم يلتق بمسز رينو ؟

- وأنى لى أن أعلم ذلك يا سيدى ؟

قال بوارو : - آه . هذا صحيح . انما خطر لى انك ربما رأيته وهو قادم . هذا كل شئ يا سيدتى . طابت ليلتك .

بدأت أقول : - لماذا ؟ ..

ولكنه قاطعنى قائلا : - صه ... سنرى ذلك فيما بعد .

ووجدنا سندريللا فى انتظارنا ومضينا الى فيللا جنفييف . وكانت غارقة فى الظلام . كان الجميع نياما بلا شك . وكانت نافذة غرفة نوم مسز رينو مفتوحة . وقلت وأنا أرى بوارو ينظر اليها .

- ماذا سنفعل الان ؟

- سوف ننتظر ... اننى لا أتوقع شيئا قبل ساعة أو ساعتين ولكن ...

وقاطعته صيحة حادة تقول : - النجدة !

وسطع الضوء فى غرفة بالطابق الأول على يمين باب الفيللا . وكانت الصيحة قد صدرت منها . وصاح بوارو يا الهى ! .. لاريب انها غيرت الغرفة .

واندفع الى باب الفيللا وراح يدق عليه بيديه ثم أسرع الى الشجرة التى بجوار أحواض الزهور وارتقاها بخفة القط وتبعته بينما كان يثب من النافذة الى الداخل وتبعته بدورى ورأيت سندريللا خلفى فصحت بها : - " حذار " . ولكنها أجابتنى " لا تقلق . هذا عمل يسير جدا بالنسبه لى " .

وكان بوارو قد أسرع الى الغرفة التى سطع منها الضوء وحاول أن يفتحها ولكنه صاح مقهورا : " انها موصدة من الداخل . وسيمر وقت طويل قبل أن نتمكن من تحطيم الباب .

وسمعنا الصيحة من جديد : " النجدة " . ورأيت اليأس يرتسم فى عينى بوارو وألقينا بثقلنا على الباب دون جدوى واذ رأت سندريللا ذلك قالت :

- لن تتمكنا من تحطيم الباب في الوقت المناسب .أنا وحدى أستطيع شيئا .

وقبل ان أتمكن من الاتيان بحركة لكى أمنعها خيل لى انها وثبت من النافذة الى الفضاء . وأسرعت انظر الى الخارج وقلبى يركض بين ضلوعى فرأيتها وقد تعلقت بيديها فى السطح وراحت تتقدم نحو النافذة المضاءة فى بطء . وصحت :

- يا الهى ! .. انها تسير الى الموت .

ولكن بوارو قال يهدئنى : - لا تنس انها بهلوانة محترفة . ان العناية الالهية هى التى جعلتها ترافقنا الليلة . وأرجو أن تصل فى الوقت المناسب . آه .

ذلك ان صيحة فزع هائلة قطعت صمت الليل عندما اختفت سندريللا داخل النافذة ولم نلبث أن سمعناها تقول فى صوت واضح ثابت :

- كفى . لا تتحركى . انك فى قبضتى وهى من حديد .

وكانت فرانسواز قد صحت وأسرعت الينا ووقفت لا تستطيع شيئا هى الأخرى . ومرت لحظات سمعنا فيها صوت وقوع جسم على الأرض ثم دار المفتاح فى القفل وفتح الباب . وبدت سندريللا شاحبة اللون وأشارت لنا أن ندخل وهى تقول :

- الحمد لله .. اننى دخلت فى الوقت المناسب .

وكانت مسز رينو شبه جالسة فوق الفراش وهى تلهث . وتمتمت تقول فى مشقة : - انها كادت أن تقتلنى .

والتقطت سندريللا من فوق الأرض سلما متينا من الحبال فقال بوارو : - آه . انها كانت تنوى أن تهرب بواسطته . ولكن أين هى ؟

ابتعدت سندريللا من مكانها قليلا وأشارت الى امرأة متكومة فوق الأرض وقد ارتفع طرف ثوبها وأخفى وجهها وقالت أنها ماتت .. وأظن ان رأسها ارتطمت بحافة المدفأة صحت : - ولكن من هى . هى قاتلة مستر رينو ... والمعتدية على مسز رينو .

رفعت طرف الثوب وأنا فى حيرة من أمرى فاذا بى أرى وجه مارت دوبريل الجميل وقد خلت من عينيها الحياة .

نهايه الرحلة

وما أذكره بعد ذلك عن الأحداث التى تلت هذه الليلة مشوشة ، ولم يلق بوارو اذنا صاغية الى أسئلتى المتكرره ولم يكف عن توجيه اللوم لفرانسواز ، لأنها لم تخبره بأن مسز رينو قد غيرت غرفة نومها .

وصاحت فرانسواز تقول : - ولكن سيدتى غيرت غرفة النوم بعد الجريمة مباشرة ، فقد كانت الذكرى شاقة عليها .

هوى بوارو بقبضة يده على المنضدة فى غضب جنونى وقال : - لماذا لم تخبرينى بذلك اذن . انك غبية ، وليونى ودنيز لا يقلان عنك غباء ، وقد أوشك غباؤكن أن يودى بحياة سيدتكن . ولولا شجاعة هذه الفتاة ...

وأمسك عن الكلام وأسرع الى سندريللا . وكانت تشمل مسز رينو برعايتها ، فعانقها عناقا حارا الأمر الذى كدرنى أكبر الكدر .

وأفقت من الحالة المضطربة التى استولت على وأنا أسمعه يطلب منى فى حدة أن أمضى لاستدعاء الطبيب للعناية بمسز رينو ، وأردف يقول فى غضب بالغ :

- ولا داعى لأن تعود هنا ، فسأكون مشغولا عنك بأمور أخرى ، ثم اننى سأعهد الى الآنسة بتمريض مسز رينو .

وانصرفت فى هدوء . وبعد أن فرغت من مهمتى عدت الى الفندق وأنا أكاد لا أفهم شيئا مما حدث ، فقد بدت أحداث الليلة عجيبة وغريبة ولم يشأ أى أحد أن يرد على أسئلتى . وأويت الى فراشى ، ولم يلبث النوم أن غلبنى ، وأنا مازلت سادرا فى دهشتى .

وعندما استيقظت كانت الغرفة تسطع بنور الشمس ، وكان بوارو جالسا بجوار

الفراش وعلى شفتيه ابتسامة وخاطبنى قائلا :

- انك نمت نوما عميقا يا صديقى . هل تعرف ان الساعة الحادية عشرة الان ؟

تأوهت ورفعت يدى الى رأسى وقلت : - لاريب اننى كنت أحلم . أتعرف أننى رأيت فى المنام اننا عثرنا على جثة مارت دوبريل فى غرفة مسز رينو ، وانك قلت انها هى التى قتلت مستر رينو ؟

- لم يكن هذا مناما يا صديقى وانما هى الحقيقة ؟

ولكن بيللا دوفين هى التى قتلت مستر رينو .

- كلا يا هاستنجز . انها لم تقتله . انما اتهمت نفسها بذلك لكى تنقذ الرجل الذى تحبه من الاعدام . تذكر قصة جاك . انهما وصلا الى مكان الجريمة معا فى نفس اللحظة تقريبا ، وحسب كل منهما أن الآخر هو القاتل ... نظرت اليه الفتاة فى ذعر ، ثم فرت هاربة وهى تصرخ . ولكنها عندما علمت بنبأ القبض عليه لم تستطع احتمال الفكرة ، وجاءت تتهم نفسها لتنقذه من موت محقق .

واضطجع بوارو فى مقعده الى الخلف ، وضم أطراف أنامله فى حركة مألوفة واستطرد يقول : ولم أشعر بأي ارتياح ازاء ذلك ، فقد كنت مقتنعا بأن القاتل ارتكب جريمته عمدا وبرباطة جأش مستخدما نفس الخطة التى دبرها مستر رينو لتضليل العدالة ولهذا كان لابد للقاتل أن يكون على علم بخطط مستر رينو ، وقد حملنى هذا الشك فى مسز رينو ، ولكن الحقائق لم تؤيد هذه النظرية . وسألت نفسى هل يمكن أن يكون هناك شخص آخر على علم بهذه الخطط . وتذكرت أن مارت دوبريل اعترفت بأنها سمعت الحديث الذى جرى بين مستر رينو والمتشرد . واذا كانت قد سمعت هذا الحديث فليس هناك من سبب يمنعها من سماع الباقى ، خاصة اذا كان مستر رينو وزوجته لم يتوخيا الحذر وأخذا يناقشان خطتهما وهما جالسان على المقعد المجاور للكشك . ولا تنس انك استطعت أن تستمع الى حديثهما مع جاك رينو بكل سهولة

وهما جالسان فى نفس المكان .

صحت معترضا : - ولكن ما الدافع الذى يدفعهما الى قتل مستر رينو ؟ .. المال طبعا . كان رينو مليونيرا ، وكانت تعتقد ان جاك سيرث نصف ثروته على الأقل . ولنعيد القصة الان من وجهة نظر مارت دوبريل .

" انها سمعت الحديث الذى دار بين رينو وزوجته . وكان رينو حتى هذه اللحظة مصدر أمل محترم لمسز دوبريل وابنتها . ولكنه ينوى الهرب . ومن الجائز انها كانت تريد أن تمنعه من الهرب فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن فكرت فى قتله ، ولم تكن نية القتل لتروعها فى شئ ، خاصة وانها ابنة جان بيرولدى ، فقد عارض رينو زواج ابنه جاك منها ، واذا تحدى هذا الأخير ارادة أبيه فسوف يكون مصدما وهذا أمر لا يرضيها . واننى متأكد من أنها لم تكن تكن لجاك أى حب . وانما كانت تتظاهر بحبه ، وكانت بطبيعتها باردة تخطط وتقدر للعواقب دون أى حساب للمشاعر ، وأظن انها لم تكن واثقة من سلطانها على قلب الشاب . كانت قد بهرته . ولكن اذا ما انفصل عنها، وكانت متأكدة من أن مستر رينو سيبذل كل جهده فى سبيل ذلك ، فانها لن تلبث أن تفقد سلطانها عليه . ولكن اذا مات رينو وورث جاك نصف ثروته فان الزواج يمكن أن يتم على الفور . وبهذا تحصل على الملايين بدلا من الالاف الحقيرة التى استطاعت ابتزازها حتى ذلك اليوم .كانت الفتاة ذكية وقد فكرت فى كل هذه الاحتمالات ، وكان الأمر سهلا ، فقد رسم رينو الخطة لموته وما عليها الا أن تتدخل فى اللحظة المناسبة لتغيير الدعابة الى حقيقة بشعة . وكان الخنجر هو الحلقة الثانية التى جعلتنى أشتبه فى مارت دوبريل ، فقد صنع جاك رينو ثلاثة خناجر متشابه ، أعطى واحدا منها لأمه والثانى لبيللا دوفين ، أفلم يكن من المحتمل أن يكون قد أعطى الخنجر الثالث لمارت دوبريل .

" صفوة القول كانت هناك أربع نقاط ضد مارت دوبريل وهى :

أولا : يحتمل انها سمعت الحديث الذى دار بين رينو وزوجته .

ثانيا : أنها تستفيد من موته .

ثالثا : أنها ابنة بيرولدى المشهورة ، تلك المرأة وان كانت لم تقتل زوجها الا أنها هى التى حرضت على قتله .

رابعا : كانت هى الوحيدة التى ربما يكون جاك قد أعطاها الخنجر الثالث .

ومن المفهوم طبعا اننى عندما سمعت عن بيللا دوفين أدركت أنها قد تكون القاتلة. ولكن على الرغم من انها سلمت نفسها للبوليس على أنها هى القاتلة ، فاننى لم أشعر بأى ارتياح لأننى أعدت دراسة القضية وثبت لى ثبوتا قاطعا أن مارت دوبريل هى القاتلة .

وعندما أطلعتنى على خطاب الانسة دوسى رأيت طريقة للفراغ من هذه القضية مرة واحدة فقدسرقت دوسى دوفين الخنجر الأصلى وألقته فى البحر لأنها كانت تظن انه ملك لأختها . ولكن اذا اتفق ولم يكن ذلك الخنجر خنجر بيللا وانما الخنجر الذى أعطاه جاك لمارت دوبريل فمعنى هذا أن خنجر بيللا مازال موجودا معها . ولم أطلعك على شئ مما يدور فى رأسى يا هاستنجز لأن الوقت لم يكن وقت عواطف ، وبحثت عن الانسة دوسى وذكرت لها ما رأيته ضروريا ، وطلبت منها ان تفتش فى حاجيات أختها . وتصور سرورى عندما جاءتنى باسم الانسة روبنسون ومعها الخنجر .

" واثناء ذلك دبرت الأمر لكى أرغم الانسة دوبريل على العمل فتبرأت مسز رينو من ابنها بناء على تعليماتى وصرحت بنيتها فى تحرير وصية تحرمه فيها من ثروة أبيه فى صباح اليوم التالى ، وكان هذا عملا ميئوسا منه ولكنه كان ضروريا ورضيت مسز رينو أن تجازف بحياتها ولكن لم يخطر لها لسوء الحظ أن تخبرنى بأنها غيرت غرفة النوم ولا ريب أنها كانت تظن اننى كنت أعرف ذلك . وجرى كل شئ كما توقعت وأقدمت مارت دوبريل على خطوة أخيرة لكى تضمن الحصول على ملايين رينو ولكنها

أخفقت .

- ولكن الأمر الذى يدهشنى هو أنها استطاعت أن تدخل البيت من غير أن نراها ويبدو لى أن هذه معجزة لأننا تركناها خلفنا فى فيللا مرجريت ومضينا رأسا الى فيللا جنفييف ، ومع ذلك فقد وصلت قبلنا .

- آه . ذلك اننا لم نتركها خلفنا ، فقد خرجت من فيللا مرجريت من باب الخدم بينما كنا نتحدث مع أمها .

- ولكن الخيال الذى رأيناه خلف ستار النافذة ونحن فى الخارج ؟

- حسن . هو خيال مسز دوبريل ، وكانت قد أسرعت بالصعود وجلست مكان ابنتها .

- مسز دوبريل ؟

- نعم . ان احداهما مسنة والأخرى شابة ولكن لكل منهما نفس الهيئة والمظهر . ولم الحظ أنا شيئا وكنت أظن أن أمامى كل الوقت وانها لن تحاول شيئا قبل ساعة . لقد كانت تلك الفتاة ذكية جدا .

- وقد أرادت أن تقتل مسز رينو ؟

- نعم . لأن كل الثروة ستئول عندئذ الى جاك . ولكن موت مسز رينو كان سيبدو كأنه انتحار فقد وجدت على الأرض بجوار جثة مارت دوبريل زجاجة صغيرة بها كلوروفورم وحقنة تحتوى على كمية قاتلة من المورفين .. هل فهمت ؟ .. الكلوروفورم أولا ، وعندما تفقد مسز رينو رشدها تحقنها بالمورفين . وفى صباح اليوم التالى تكون رائحة الكلوروفورم قد تبخرت والحقنة فوق الأرض دليل على أن مسز رينو انتحرت ولكن الأمور لم تقع وفق ما توقعت الانسة مارت . لأن مسز رينو كانت مستيقظة وكانت تنتظرها . ووقع بينهما عراك وكانت مسز رينو ما تزال ضعيفة . ولكن كانت لا تزال هناك أمام مارت فرصة فقد أقصت عنها فكرة الانتحار وصممت أن تخنقها ثم

تهرب بعد ذلك بواسطة سلم الحبال ونحن مشغولون بتحطيم الباب ، وتعود الى فيللا مرجريت قبل أن نتمكن من التدخل . وكان من المتعذر عندئذ أن نجد أدلة تدينها . ولكن لم يغلبها هركيول بوارو وانما غلبتها بهلوانة صغيرة لها قبضة حديدية .

– متى بدأت تشك فى مارت دوبريل يا بوارو ؟ ..أعندما قالت لك انها سمعت تلك المشاجرة فى الحديقة ؟

ابتسم بوارو وقال : – هل تذكر يوم قدومنا الى مرلنفيل يا صديقى ؟ وهل تذكر الفتاة الجميلة التى رأيناها تقف أمام الباب . انك سألتنى اذا كنت قد رأيت الهة شابة فأجبتك بأننى رأيت فتاة ذات عينين قلقتين . هكذا فكرت فى مارت دوبريل منذ البداية ... امرأة ذات عينين قلقتين . ولكن لماذا هذا القلق ؟ لم تكن قلقة على جاك رينو بالتأكيد لم تكن تعرف أنه فى مرلنفيل فى الليلة السابقة .

قلت : – وبهذه المناسبة ، كيف حال جاك رينو ؟

– أحسن بكثير . انه ما زال فى مرلنفيل ولكن مسز دوبريل اختفت ورجال البوليس يطاردونها .

– هل تظن انها كانت متواطئة مع ابنتها ؟

– هذا ما لن نعرفه أبدا . ان هذه المرأة تعرف كيف تكتم أسرارها ولا أظن أن رجال البوليس سيتمكنون من القبض عليها .

– هل عرف جاك رينو بما حدث ؟

– كلا . ولكنه سيصاب بصدمة كبيرة عندما يعلم . ومع ذلك فاننى لا أعتقد أن قلبه كان مشغولا بحب مارت حقا . اننا اعتقدنا حتى هذه اللحظة أن بيللا دوفين كانت فتاة فاتنة أرادت غوايته وان مارت دوبريل جميلة وقد عملت على أن تخلب لبه ولكن لا تحس الندم الذى أحس به لقطع علاقته بالأخرى وانه كان على استعداد للموت بدلا من توريطها فى الجريمة . وأميل الى الظن انه عندما يعرف الحقيقة سيهيج ويثور وان

حبه الكاذب سيمحى .

- وجيرو ؟

- أنه أصيب بهزة عصبية وعاد الى باريس .

وكان بوارو على صواب فقد أصيب جاك بصدمة عنيفة عندما عرف الحقيقة ولكنه تحملها خيرا مما كنت أتوقع وساعده حب أمه واخلاصها على اجتياز تلك الأيام العصيبة..

ولكن كان لابد من اتخاذ خطوة أخرى فقال بوارو لمسز رينو أنه يعرف سرها ونصحها بأن تطلع ابنها على الحقيقة لأن الحقيقة لابد أن تظهر ذات يوم وانها اذا هى أطلعته عليها الان كان وقعها أخف .

وعملت مسز رينو بنصيحتها وعرف ابنها ان الأب الذى كان يحبه ويعزه كان طريد العدالة ، وخف بوارو الى نجدته قائلا :

- اطمئن يا مستر جاك . ان العالم لا يعرف شيئا . وليس هناك ما يرغمنى على اطلاع البوليس على أى شئ فأنا لم أتول هذه القضية مساعدة لهم وانما كنت أعمل لحساب أبيك . وقد نالته العدالة أخيرا ولكن لا داعى لأن يعرف أحد أن بول رينو وجورج بونو ما هما الا رجل واحد .

وطبعا كانت هناك نقاط كثيرة أثارت حيرة المحققين ولكن بوارو عرف كيف يرضى فضولهم بطريقة لبقة بارعة .

وبعد عودتنا بقليل رأيت تمثالا صغيرا لكلب من كلاب الصيد يعتبر تحفة حقا موضوعا فوق المدفأة . ورد بوارو على نظرتى المتسائلة بابتسامة ساخرة وقال :

- اننى ربحت الرهان طبعا واشتريت بقيمته هذا الكلب . أليس جميلا ؟ وقد أطلقت عليه اسم جيرو .

وبعد بضعة أيام جاءنا جاك رينو وقال : - اننى أتيت لكى أودعك يا مستر بوارو

فأنني سأبحر قريبا الى أمريكا الجنوبية ، وكانت لأبى مصالح كبيرة هناك وفى نيتى أن أبدأ فيها حياة جديدة .

- وهل تسافر وحدك يا مستر جاك ؟

- سترافقنى أمى . وسأحتفظ بستونور سكرتيرا لى .

- ألن تصطحب معك شخصا آخر .

اضطرم وجه جاك وقال : - ماذا تعنى ؟

- ان هناك فتاة تحبك حبا حانيا بحيث لم تحجم عن التضحية بحياتها فى سبيلك.

تمتم الشاب : - وكيف أستطيع أن أطلب منها مرافقتى بعد كل الذى حدث ؟ ماذا أقول لها ؟ .. لقد كنت غبيا .

- ومن منا لم يكن غبيا فى يوم من الأيام ؟

ولكن ملامح جاك قست وقال : - ثم هناك شئ آخر . فأنا ابن أبى فمن هى المرأة التى تريد أن تتزوجنى وهى تعرف ذلك ؟

- تقول انك ابن أبيك ، ولكننى أعرف امرأة كان قلبها عامرا بالشجاعة والحب والاحتمال .

رفع الشاب رأسه وأغرورقت عيناه بالدموع وقال : - أمى ! .

- نعم . فأنت ابن أمك كما أنك ابن أبيك ، فاذهب الى الانسة بيللا ولا تخف عنها شيئا وأطلعها على كل شئ ثم انتظر ما سوف تقول لك .

واستطرد بوارو يقول وهو يرى تردد الشاب : - اذهب اليها لاكشاب مراهق ولكن كرجل ... رجل عركته نكبات الماضى ونكبات الحاضر ولكنه ينظر الى المستقبل وكله أمل ورجاء . أطلب منها أن تقاسمك أياه ، ولعلك لم تلحظ ذلك ولكن حبكما المشترك ابتلته الأيام وعرف كيف يصمد أمامها لأن كلا منكما كان مستعدا للتضحية بحياته فى سبيل الآخر .

والان ماذا جرى لارثر هاستنجز ، راوية هذه الصفحات .

لقد عرض عليه آل رينو ادارة مزرعة لهما فى أمريكا الجنوبية ، ولكن قبل أن أفرغ من هذه القصة نهائيا أريد أن أشير الى صباح يوم بالذات فى فيللا جنفييف .

قلت : - اننى لا أستطيع أن أدعوك بيللا لأنه ليس اسمك ، واسم دوسى غير مألوف لى ولهذا سأظل أدعوك سندريللا . ولكن لا تنسى أن سندريللا تزوجت الأمير الوسيم وأنا لست أميرا ولا وسيما ولكن ...

قاطعتنى قائلة : - كان على سندريللا أن تقوم بدور عسير فهل يمكنها أن تكون واثقة من أنها ستكون أميرة تستطيع الاضطلاع بكل أعبائها ... لأنها قبل كل شئ ليست الا فتاة دميمة غير نظيفة .

صحت : - جاء الدور على الأمير لكى يقاطعها فهل تعرفين بماذا أجابها ؟

- كلا .

- انه قال " يا للشيطان ! " . ثم عانقها .

وفعلت أنا كما فعل وعانقها .

تمت بحمد الله

مجموعة قصص أجاثا كريستي

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

* جريمة في العراق
* العميل السري
* أدلة الجريمة
* اختطاف رئيس الوزراء
* قتيل في المترو
* الرسائل السوداء
* التضحية الكبري
* ذكريات
* سر التوأمين
* جريمة ممثلة
* اللغز المثير
* القاتل الغامض
* جريمة فوق السحاب
* الجريمة المعقدة
* المتهمة البريئة
* الجريمة الكاملة
* مغامرات بوارو
* الساحرة
* ابواب القدر
* القضية الكبرى

مكتبة معروف اخوان
أسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨٢٨-٨١
القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس - ت : ٥٧٤٣٦١١

الموزع
بالمملكة العربية
مكتبة دار
ت : ١١١٢٠٧